رسالة إلى العالم

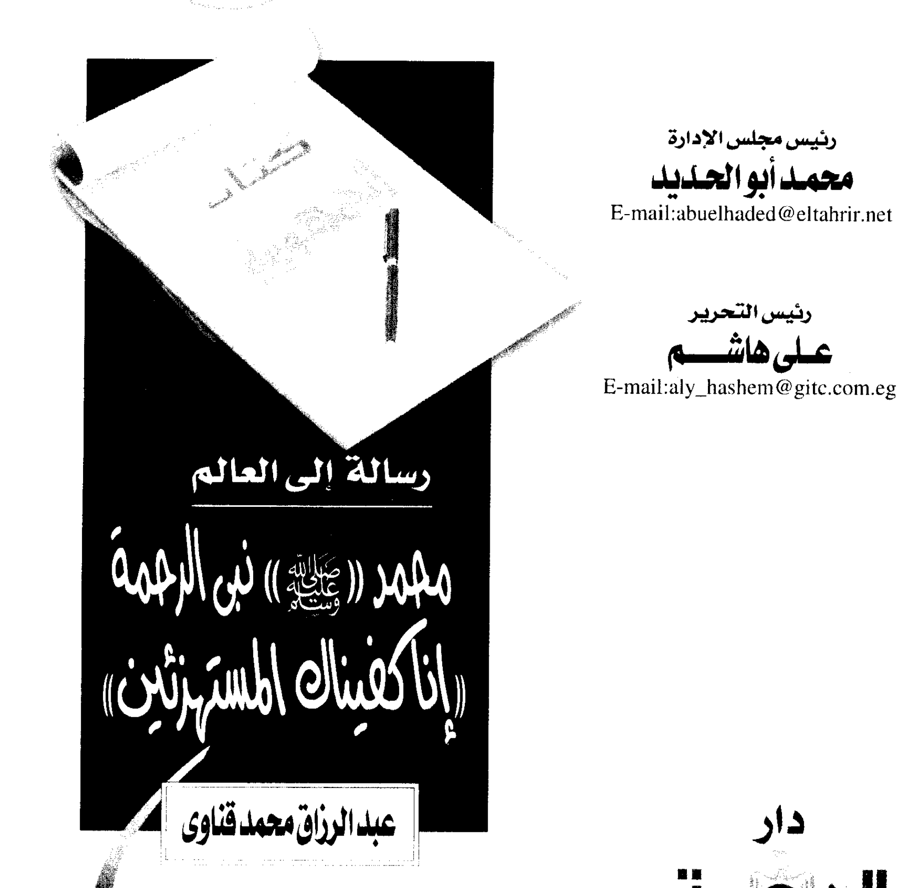
محمد (ﷺ) نبي الرحمة

«إنا كفيناك المستهزئين»

عبد الرزاق محمد قناوى



www.gombook.net.eg

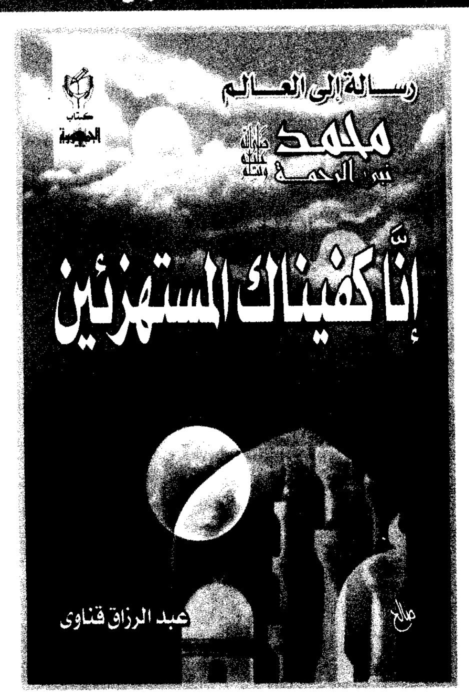


دار
الجمهورية
للصحافة

١١١ ـــ ١١٥ ش رمسيس
ت : ٢٥٧٨٣٣٣٣

إذا وجدت أى مشكلة
فى الحصول على
«كتاب الجمهورية»
وإذا كان لديك أى مقترحات أو
ملاحظات
فلا تتردد فى الاتصال على أرقام :
٢٥٧٨٣٣٣٣ ٢٥٧٨١٠١٠
http://www.eltahrir.net

مـــارس ٢٠٠٨



تصميم الغلاف الفنان : صالح صالح محمد

سكرتير التحرير
سيد عبد الحفيظ

أسعار البيع فى الخارج

سوريا	١٠٠ ل.س
لبنان	٤٠٠ ل.ل
الأردن	١,٥ دينار
الكويت	١ دينار
السعودية	١٠ ريال
البحرين	١ دينار
قطر	١٠ ريال
الإمارات	١٠ درهم
سلطنة عُمان	١ ريال
تونس	٢ دينار
المغرب	٣٠ درهم
اليمن	٣٠٠ ريال
فلسطين	٢ دولار
لندن	٢ جك
أمريكا	٥ دولار
استراليا	٥ دولار استرالى
سويسرا	٥ فرنك سويسرى

الاشتراك السنوى

داخل جمهورية مصر العربية
٦٠ جنيهاً
الدول العربية ٣٠ دولاراً
امريكيا
اتحاد البريد الافريقى واوروبا
٣٨ دولارا أمريكيا
أمريكا وكندا
٤٥ دولارا أمريكيا
باقى دول العالم
٥٨ دولارا أمريكيا

من أجمل ما قرأت في مدح النبي ﷺ

عـذراً رسولَ الله إن قصـرتُ فى وصف فإن جمالكم لن يوصفا
والله لو جَــدَّ العبــاقرةُ كلهم فى وصف أفضــالٍ له لن تُعرفا
والله لو مـــاءُ البحار يَجمْعها كان المدادُ لوصف أحمدَ ما كفى
والله لو قَلَمُ الزمـان مـن البداية إلى النهـاية ظَلَّ يكتب ما اكتفى
والله لو قبـرُ الرسـول تَفَجَّرت أنـــوارُه للبــدر ولَّى واختفــى
يكفيـه لُقْيا فى السـموات العُلا وبحضـرة المولى الجليـل تَشَرَّفا
يكفيه أن البَدْرَ يُخسف نـــوره لكن نـــور محمد لن يُخســـفا

إهداء

إلى روح والدتى رحمة الله
تبارك وتعالى عليها.
وإلى روح والدى رحمة الله
تبارك وتعالى عليه.
جزاء ما تعلمت منهما من
حب رسول الله صلى الله
عليه وسلم والصالحين،
داعياً المولى عز وجل أن
يسكنهما فسيح جناته.

تقـــــــديم

رسالة إلى العالم

الحمدلله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من أرسله ربه- عز وجل- رحمة للعالمين، فهو- صلوات ربى وسلامه عليه- الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير، الهادى إلى الحق وإلى صراط مستقيم، بل إن القرآن الكريم قَصَرَ الهدف من رسالته على أن يكون رحمة للعالمين، فقال- عز من قائل- (وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين) هكذا بأسلوب الحصر باستخدام «ما.. وإلا..»، فمحمد صلى الله عليه وسلم حريص على هداية أمته، رءوف رحيم بها.

وبعد ..

فبين يدى القارىء الكريم صفحات حول هذا الخُلُق الكريم من أخلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورغم أن صاحبها الأستاذ عبدالرزاق قناوى ليس ممن يدور تخصصهم الدقيق فى مجالات الدراسات الإسلامية والفكر الإسلامى، إلا أن هذا اللون من الدراسات أعجبه واستهواه، فأخذ يقرأ حوله ويحاول سبر أغواره ومراميه والتعرف على أسراره، حتى أنه تمكن من إخراج بعض الأعمال فى هذا النطاق.

واليوم يقدم هذا العمل الجديد، ويهمنا أن نلفت النظر إلى شىء مما يتميز به. إن مما يعجبك فيه تلك العاطفة المشبوبة التي سيطرت على الرجل وملأت جوانب نفسه، والتي تمثلت فى حبه الشديد لسيدنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حُبًا دفعه إلى أن يقرأ حوله ويتمثل سيرته

ويقتبس من هديه- صلوات ربى وسلامه عليه- بل وأن يحاول نقل ما حصله إلى الآخرين مستعيناً فى ذلك كله- حسبما تيسر له- بعدد من المراجع الأصيلة التي دبجها بُرّاع علمائنا الأقدمين والمحدثين.

ويعجبك أيضاً أسلوبه السهل المستقيم ولغته الواضحة التي يدلف بها إلى الحقائق دون لف أو دوران مع منهج سوى وطريقة فى العرض ليس بها بأس، فوق أنه جمع ما قيل حول رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كتبه بعض المستشرقين ومن لف لفهم من بنى جلدتنا، وجعل ذلك فى صعيد واحد، مع الإتيان بما صدر وما كتبه الغربيون أنفسهم تعليقاً ورفضاً من هؤلاء لما كتبه أبناء أقطارهم إنصافاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإنا لنسأل الله.. عز وجل.. أن ييسر الاستفادة من جهد المؤلف الكريم وأن يجزيه خير الجزاء، وأن يثيبه على ما بذل وأن يجعله فى صحيفة حسناته يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. عبدالله محمد جمال الدين

الأستاذ فى قسم التاريخ والحضارة الإسلامية فى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة

٢٠ من صفر سنة ١٤٢٨هـ الموافق ١٠ مارس سنة ٢٠٠٧م

مقـــــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين، وعلى خاتمهم سيدنا محمد بن عبدالله الصادق الوعد الأمين، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير، وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد لوحظ أن كُتَّاب السيرة النبوية - قُدامى ومحدثين - قد ركزوا فى دراساتهم وأحاديثهم على بعض الجوانب من حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاصة الجانب العسكرى ـ بحديثهم عن الغزوات التى قام بها - صلى الله عليه وسلم - بعد الهجرة من مكة إلى المدينة.. ولم يعطوا جوانب أخرى لاتقل أهمية عن الجانب العسكرى حقها من الدراسة كأثره - صلى الله عليه وسلم - فى بناء الأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم القوى القائم على الإيمان بالله تعالى، وعلى الحب والتعاون والثقة، وكذلك جهاده - صلى الله عليه وسلم - فى إقامة الدولة الإسلامية، على أسس متينة من العقيدة والأخلاق السامية، وما وضعه -صلى الله عليه وسلم - من الأسس التى قامت عليها علاقات المسلمين بغيرهم من الأمم.

كل تلك الجوانب - وغيرها كثير - مازال فى حاجة إلى جهود علماء المسلمين المخلصين لدينهم لإبرازها خاصة أن أعداء المسلمين والجاهلين بالإسلام وتعاليمه السمحة - كانوا ومازالوا - يهاجمون الإسلام ويصفونه بدين التشدد والإرهاب، ويصفون المسلمين بالإرهابيين والمخربين.

وقد حاولت فى هذه الدراسة التركيز على إبراز الدور العظيم الذى قام به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى نشر صفة الرحمة التى اتصف بها للخلق أجمعين، وقد وصفه الله تبارك وتعالى فقال: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

وقد حاولت قدر جهدى أن يكون هذا العمل موجهاً إلى غير المسلمين.

وأسأل الله تعالى أن يتقبله منا وأن ينفع به.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

عبدالرزاق محمد قناوى
٦ شارع محمد شوقى - المنيرة - السيدة زينب
القـــاهرة

أحوال العرب

قبيل ظهور الاسلام

(أ) الأحوال الاجتماعية

مما لا شك فيه أن الاسلام أحدث فى حياة العرب تغييرات جذرية هائلة، ولم تقتصر تلك التغييرات على تبديل عقيدتهم الدينية من الوثنية إلى عقيدة التوحيد الخالص لله تبارك وتعالى، بل إنها شملت كل شئونهم السياسية، وأحوالهم الاجتماعية والثقافية.

فقد وُجدت فى الجزيرة العربية حواضر ومجتمعات مستقرة ومنظمة، كما هو الحال في اليمن التي تقع فى جنوب غرب الجزيرة، وكانت هناك حياة البدو الرُّحل كما هو الحال فى إقليم الحجاز.

وتختلف- بطبيعة الحال- حياة ساكنى الحضر عن حياة البدو الرحل من وجوه كثيرة، ففي المناطق الحضرية التى كانت تتمتع بالاستقرار، ويقوم فيها نظام سياسى يمكن تقسيم المجتمع إلى ثلاث طبقات هى:[1]

١- **الطبقة الأولى:** طبقة الملوك والأمراء والحكام: وهم في الذروة من المجتمع، ويعيشون حياة النعيم والترف.

٢- **الطبقة الثانية:** طبقة الأثرياء والتجار: وهؤلاء يعيشون أيضاً حياة النعيم والترف، كأفراد الطبقة الأولى.

٣- **الطبقة الثالثة:** وهى طبقة الفقراء، وهؤلاء كانوا في المرتبة الدنيا، الأقل، فى السلم الاجتماعى.

أما بالنسبة لحياة البدو، فكانت تتألف من طبقتين رئيسيتين هما:

١- **طبقة السادة:** وفى الواقع يمكن اعتبار العرب كلهم سادة، سواء كانوا فقراء أو أغنياء، فالفقر لم يكن ليحد من حرية العربى وسيادته.

---

(١) تاريخ الإسلام فى عصر النبوة، دكتور عبدالشافى محمد عبداللطيف - كلية اللغة العربية صدر عام ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م) ص٥٠ وما بعدها بتصرف.

٢- طبقة الخدم والعبيد: وكان العرب الأثرياء يملكون أعداداً كبيرة من الخدم والعبيد، يسخرونهم فى خدمتهم وفى تجارتهم، وكان هؤلاء العبيد والخدم مغلوبين على أمرهم، حتي جاء الاسلام فرفع من شأنهم لأنه دعا إلى المساواة المطلقة بين الناس جميعا، فالبشر كلهم- فى نظر الإسلام- أمام الله سواء، أكرمهم عند الله أتقاهم، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح، كلهم لآدم، وآدم من تراب. والحياة البدوية التي كان يحياها البدو فى الصحراء كانت تتميز بكثير من المميزات مثل:

١- الحرية الفردية: التى كان يتمتع بها العربى

٢- المحافظة على النسب: فالرجل العربى نسبه صريح، غير مجهول، وكذلك لغته كانت سليمة وفصيحة، لأنه قليل الاختلاط بغيره من الناس.

كانت تشيع في المجتمع العربى البدوى مجموعة من العادات والتقاليد، بعضها جميل ومحمود، أبقى عليه الإسلام ودعمه وباركه، وبعضها كان قبيحاً مرذولاً حاربه الإسلام وقضى عليه، ومن العادات والتقاليد الحميدة عند العرب:

١- الكرم: فالكرم صفة إنسانية مستحبة فى كل مجتمع إنسانى فى كل زمان ومكان.. وكان العربى يجود بأثمن ما عنده لإكرام ضيفه، وأخبار الأشخاص المشهورين منهم بالكرم؛ مثل حاتم الطائى لاتزال تضرب بها الأمثال حتى الآن:

وكان العرب فى البادية يولون هذه العادة- عادة الكرم- عناية خاصة، حيث إنهم كانوا يوقدون النار أمام منازلهم بالليل حتى يهتدى بها السائرون والأغراب، الذين قد يكونون فى حاجة إلى الطعام والضيافة.

ليس هذا فحسب، بل إن الكرام من العرب كانوا يقتنون نوعاً من الكلاب يدربونها على هداية الضيوف إلى بيوتهم.

٢- عزة النفس والإباء عن قبول الضيم والخسف: كان من نتائج هذا، فرط الشجاعة وشدة الغيرة، وسرعة الانفعال، فكانوا لا يسمعون كلمة توحى بالذل والهوان، إلا قاموا إلى السيف والسنان، وأثاروا الحروب بينهم، غير مبالين بالتضحية بأنفسهم فى هذه السبيل.

٣- **المضى فى العزائم:** فإذا عزموا على شىء يرون فيه المجد والافتخار، لا يبالون بالمصاعب، بل كانوا يخاطرون بأنفسهم فى سبيل تحقيق غاياتهم.

٤- **الوفاء بالعهد:** حيث كانوا يتمسكون بذلك مهما كلفهم الأمر.

٥- **الحلم والأناة والتؤدة:** كانوا يتميزون بها غير أنها كانت عزيزة الوجود، لفرط شجاعتهم وسرعة إقدامهم علي القتال.

٦- **النجدة، وإغاثة الملهوف:** وتفريج الكروب عن المكروبين، ولهم فى ذلك قصص نادرة ليس هذا مجال سردها.

٧- **بالنسبة للمرأة: للحقيقة نقول:** إن احتقار المرأة وعدم الاهتمام بها، لم يكن عاماً بين العرب، بل كان شائعاً بين قبائل معينة، بينما كان للمرأة مكانة كبيرة فى معظم القبائل، والعربى يحرص بطبعه على الشرف والعرض، ويذود عنهما بكل ما يملك، ومن مظاهر اعتزازهم بالمرأة أنهم كانوا يأخذون النساء معهم فى الحروب حتى يتذكر المحارب أنه فى حالة هزيمته فإن نساءه سيقعن سبايا فى يد عدوه، وهذا الموقف كان يدفعه إلى الاستبسال فى القتال دفاعاً عن حريمه وعرضه، كذلك كانت بعض القبائل تعطى المرأة حريتها فى اختيار زوجها.

إلى جانب تلك العادات المحمودة السابق ذكرها، كانت تشيع فى المجتمع البدوى العربى عادات قبيحة ومرذولة، جاء الإسلام ليحاربها ويقضى عليها.

من هذه العادات القبيحة: وأد البنات، أى قتلهن بدون سبب، وهذا ما تحدث عنه القرآن الكريم صراحة فى قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ (سورة التكوير: ٨، ٩)

وفى الحقيقة كان بعض العرب ينفر من إنجاب البنات، ويعتبره نكبة وعارا يحاول الهرب منه، وقد نعى القرآن الكريم عليهم ذلك، واعتبره من عاداتهم السيئة التي يجب التخلى عنها؛ وذلك فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (سورة النحل: ٥٨، ٥٩)

٨- الاهتمام بمعرفة الأنساب: وهو لون من المعارف امتاز به الأعراب عن غيرهم، فالعربى الذى يعتز بنسبه وحسبه كان يهتم بمعرفة أنساب القبائل العربية وأصولها وفروعها، وهذه المعلومات أصبحت أساساً لفرع كبير من فروع التاريخ الاسلامى: وهو علم الأنساب:

ومن شدة اهتمامهم بمعرفة الأنساب، فإنهم لم يكتفوا بمعرفة أنساب البشر، أى أصولهم فحسب، بل اهتموا أيضاً بمعرفة أنساب بعض الحيوانات وخصوصا أنساب الخيل.

(ب) الأحوال الدينية:

يعتبر العرب من أوائل الأمم التى عرفت الدين، ليس الدين الخرافى فقط، بل الدين الحقيقى السماوى، وعرفوا عبادة الواحد الأحد، من خلال الرسالات السماوية التى جاءت على أيدى رسل الله، كما عرفوا عبادة الأصنام أيضاً، بدليل رد قوم هود (نبى الله) عليه بقولهم: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ (سورة الأعراف: ٧٠).

ثم انقطعت الرسالات السماوية عن العرب فترة طويلة، حتى جاء إبراهيم خليل الله وجَدُّ الأنبياء، وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وقد عاش إسماعيل بينهم طوال حياته فى مكة المكرمة- وبلَّغ رسالته إلى العرب الذين آمنوا بها فى حينها.

ولكن بمرور الزمن تحولوا عنها إلى عبادة الأصنام والأوثان، واهتموا بها ونصبوا أصنامهم حول الكعبة، وعبدوها من دون الله، حتى جاء الإسلام ودعاهم إلى عبادة الله وحده، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكسير الأصنام، وإزالتها، يوم فتح مكة المكرمة فى العام الثامن بعد الهجرة.

تبشير التوراة برسول الله صلى الله عليه وسلم[1]

أنزل الله التوراة على نبيه موسى عليه السلام محتوية على الشرائع التى تناسب أهل ذلك الزمان، ونوَّه فيها بذكر كثير من الأنبياء الذين علم أنه سيرسلهم إلى الناس، ومما جاء فيها تبشيرا برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم خطاب لسيدنا موسى عليه السلام[2] .

قال فيه: «وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوتهم، وأجعل كلامى فى فمه، ويكلمهم بكل شىء آمره به، ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى فأنا الذى أنتقم منه، فأما النبى الذى يجترىء على بالكبرياء ويتكلم باسمى بما لم آمره به أو باسم آلهة أخرى فليُقتل».

وروى القاضى عياض فى (الشفا) أن عطاء بن يسار سأل عبدالله بن عمرو بن العاص عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أجل إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن. ﴿يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شاهداً ومُبشِّراً ونَذيراً﴾ (الأحزاب: ٤٥).

وحرزاً للأميين، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخَّاب فى الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما، وقلوبا غلفا)[3] .

وروى مثله عن عبدالله بن سلام، وهو الذى كان رئيس اليهود فلم تعمه الرياسة حتى يترك الدين القويم، وكذلك كعب الأحبار، وفى بعض طرق الحديث: ولا صخاب فى الأسواق، ولا قوال للخنا، أسدده لكل جميل، وأهب له كل خُلُق كريم، وأجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة مقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خُلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدى به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة، وأسمى به بعد النكرة، وأكثر به بعد القلة، وأغنى به بعد العيلة،[4] وأجمع به بعد الفرقة،

---

(١) وردت فى كتاب «نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين» تاليف الشيخ محمد الخضرى (١٢٨٩-١٣٤٥هـ). مكتبة الصفا، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م) ص ٢٣ وما بعدها بتصرف .
(٢) الإصحاح الثامن من سفر التثنية .
(٣) صحيح : أخرجه البخارى فى الصحيح (١٩٨١ ، ٤٤٦١) .
(٤) العيلة : الفقر والحاجة .

وأؤلف به بين قلوب مختلفة، وأهواء متشتتة، وأمم متفرقة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس. وقد أخبر عليه السلام عن صفته فى التوراة فقال وهو الصادق الأمين: عبدى أحمد المختار، مولده مكة، ومهم أجره بالمدينة- أو قال طيبة- وأمته الحمَّادون الله على كل حال.

تبشير الإنجيل بالنبى صلى الله عليه وسلم: [1] بشر عيسى بن مريم عليه السلام قومه فى الإنجيل (بالفار قليط) ومعناه قريب من محمد أو أحمد ويصدقه فى القرآن قول الله تعالى فى سورة الصف: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾(سورة الصف: ٦).

وقد وصف المسيح هذا (الفارقليط) بأوصاف لا تنطبق إلا على نبينا محمد فقال: إنه يوبخ العالم على خطيئته، إنه يعلمهم جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع، وهذا ما ورد فى القرآن الكريم فى سورة النجم:﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾(سوة النجم: ٣، ٤).

وقد ورد فى إنجيل برنابا[2] الذى ظهر منذ زمن قريب ذكر اسم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم صراحة.

وسوف نقسم الدراسة فى هذا الكتاب إلي الفصول الآتية:

الفصل الأول:

ويتناول:

أ- التعريف بنبى الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم

ب- إبراز شمائل النبى صلي الله عليه وسلم، ومكانته وما قدمه للبشرية من خير.

---

(١) المرجع السابق (نور اليقين) ص٢٥ .

(٢) ترجم إلى اللغة العربية وهو مطبوع فى مصر .

الفصل الثانى

إبراز جوانب الرحمة والسماحة، والعدل، والخلق الكريم فى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثالث:

التصدى لمن يحاولون النيل منه، ومن مكانته صلوات ربى وسلامه عليه.

الفصل الرابع:

- آراء بعض المفكرين العالميين فى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإسلام.. ثم التصدى للمسيئين للنبى ﷺ بالرسوم فى العصر الحديث .

- حاجة العالم المعاصر إلى الإسلام.

- خاتمة

الفصل الأول

التعريف برسول الله ﷺ
شمائل النبى ﷺ ومكانته
وما قدمه للبشرية من خير

[أ] التعريف برسول الله ﷺ

نسبه الشريف:

هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن زهرة. وأمه هى السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف أى يلتقى آبوه وأمه عند جدهما عبد مناف.

وينتهى نسبه صلى الله عليه وسلم إلى إسماعيل بن إبراهيم جد العرب المستعربة، وهذا هو النسب المتفق على صحته بين علماء التاريخ والمحدثين(١).

قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم» (رواه مسلم).

تاريخ ميلاده ﷺ:

لقد حقق المرحوم محمود باشا الفلكى أنه صلى الله عليه وسلم ولد فى صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع الأول(٢) الموافق لليوم العشرين من شهر آبريل

---

(١) وهذا ما قرره ابن كثير رحمه الله فى البداية والنهاية، وينبغى التنبيه إلى حديث موضوع مكذوب انتشر على السنة بعض الخطباء، وهو ما روى عن ابن عباس أنه قال: كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا انتهى إلى عدنان أمسك ثم يقول: «كذب النسابون» قال تعالى: «وقرونا بين ذلك كثيرا» (سورة الفرقان: ٣٨)، ذكره العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الضعيفة (١١١).

(٢) قال العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح السيرة النبوية ص١٣: أ- «وأما تاريخ يوم الميلاد فقد ذكر فيه، وفى شهره أقوال ذكرها ابن كثير فى الأصل، وكلها معلقة بدون أسانيد يمكن النظر فيها، ووزنها بميزان علم مصطلح الحديث إلا قول من قال: إنه فى الثامن من شهر ربيع الأول».

سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عيسي بن مريم عليه السلام، وهو يوافق السنة الأولى من حادثة الفيل [١] .

والذى عليه جمهور علماء المغازى والسير أن مولده صلى الله عليه وسلم كان فى ليلة الثانى عشر من شهر ربيع الأول، عام الفيل، وهو الموافق لعام ٥٧٠ ميلادية، وكان مولده بعد خمسين يوما من هلاك جيش أبرهة الحبشى بالطير الأبابيل[٢] .

ويقول ابن إسحاق: «فلما وضعته أمه صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى جده عبدالمطلب، أنه: قد ولد لك غلام، فأته فانظر إليه، فأتاه، فنظر إليه، وحدثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أمرت به أن تسميه، فأخذه فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله، ويشكر له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمه، فدفعه إليها».

وكان أبوه قد توفى أثناء عودته من رحلة للتجارة إلى الشام ودفن فى يثرب ولم يره صلى الله عليه وسلم.

---

(١) هى حادثة شهيرة حدثت بمكة، فأرخت بها العرب كعادتهم، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحادثة فى سورة الفيل بالجزء الثلاثين، وانظر تاريخ الأفهام فى تقويم العرب قبل الإسلام ص٢٨ - ٣٥ لمحمود باشا الفلكى، طبعة بيروت.

(٢) سيرة ابن هشام جـ ١ ص١٧١، ١٧٢، وعيون الأثر لابن سيد الناس جـ ١ ص٣٤.

(ب) شمائل النبي ﷺ ومكانته، وما قدم للبشرية من خير

شمائل النبى صلى الله عليه وسلم ومكانته:

لقد كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثلا حيا للتمسك بالأخلاق السامية، وكان القرآن الكريم منهل أخلاقه صلى الله عليه وسلم، فقد ورد فى السيرة النبوية من الطبقات الكبري لابن سعد قوله: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدى عن يونس عن الحسن قال: سئلت عائشة عن خلق رسول صلى الله عليه وسلم فقالت «كان خلقه القرآن»[1] وقد اصطفاه الله تعالى من أكرم دوحة، وتعهده منذ طفولته وشبابه حتى اختاره لآخر الرسالات السماوية، وأرسله رحمة للعالمين كما قال عز من قائل: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٧) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2]

فالحق تبارك وتعالى هو الذى رباه على عينه.. فرباه أشرف تربية، وأدبه أحسن تأديب، وفيما يلى بعض الآيات القرآنية الكريمة التي تدل على أن الله تبارك وتعالى أدبه صلى الله عليه وسلم بمثل قوله تعالى:

١- ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ «سورة الأعراف: ١٩٩».

٢- و﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ «سورة النحل: ١٢٥».

---

(١) السيرة النبوية من الطبقات الكبرى لابن سعد - المجلد الأول ص٣٦٤.. الناشر: الزهراء للإعلام العربى - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٢) السلسلة الصحيحة (٤٥) للعلامة الألبانى، وأورده الإمام مالك فى الموطأ بلاغاً عن النبى صلى الله عليه وسلم، ورواه الحاكم فى المستدرك، والبيهقى عن أبى هريرة (صحيح).

٣- و﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ «سورة لقمان: ١٧».

٤- و﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ) «سورة النحل: ٩٠».

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو الله سبحانه وتعالى أن يزيده تمسكاً بحسن الخلق في مثل قوله صلى الله عليه وسلم داعياً: «اللهم كما حسنت خَلقى فحسن خُلقى»[١] وقد ربط صلى الله عليه وسلم بين الدين والأخلاق السامية فقال: إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق[٢].

وكان صلى الله عليه وسلم يحض المسلمين كثيرا على التمسك بالفضائل، وينفرهم من الرذائل، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم كثير من النصائح والتوجيهات للمسلمين فى هذا الشأن، نذكر منها على سبيل المثال الأحاديث الآتية:

١- قوله صلى الله عليه وسلم: أكثر ما يُدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق، وأكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان: الفم والفرج[٣].

٢- وقوله صلى الله عليه وسلم: إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل وصائم النهار[٤].

٣- وقوله صلى الله عليه وسلم: من سعادة المرء حُسن الخلق، ومن شقاوته سوءُ الخُلُق[٥]

٤- وقوله صلى الله عليه وسلم: ان أحبكم إلىَّ وأقربكم منى فى الآخرة مجالس أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى فى الآخرة أسوؤكم أخلاقاً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون[٦].

٥- وقوله صلى الله عليه وسلم: إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه، وحسن الخلق[٧].

(١) شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ٢٤٤/٤ لمحمد بن عبدالباقى المصرى (ت ٦٧٦هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، رواه أحمد عن ابن مسعود (صحيح).
(٢) السلسلة الصحيحة (٤٥) للألبانى .
(٣) الترغيب ٤٠٣/٣ - السلسلة الصحيحة للألبانى /٩٧٧.. رواه أحمد والترمذى وابن ماجة عن أبى هريرة (حسن).
(٤) الكامل فى الضعفاء لابن عدى: ١٠٧٦/٣.. رواه أحمد والحاكم عن عائشة (صحيح).
(٥) رواه البيهقى فى شعب الإيمان، عن جابر (موضوع).
(٦) (رواه أحمد - ابن حبان - الطبرانى) عن ابن ثعلبة الخشنى (صحيح).
(٧) (رواه البزار - الحاكم - البيهقى) فى شعب الإيمان - أبو نعيم فى «حلية الأولياء» عن أبى هريرة (ضعيف).

كل ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم يعلم بما علمه الله ان الأخلاق الكريمة هى الأساس المتين لقيام الأمم وبقائها واستمرارها قوية، ومن هذا النبع الصافى نهل أمير الشعراء أحمد شوقى فقال:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفر الناس من الأخلاق السيئة، وقد تمسك صلوات ربى وسلامه عليه بحسن الخلق فى كل ما صدر عنه من أقوال وأفعال، كذلك فى علاقاته مع الناس فى السلم والحرب.

فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم أطلق من (السَّبى) بنت حاتم الطائى المشهور بالكرم، مكافأة لكرم أخلاق أبيها، عندما جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى سبايا طيىء فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلى عنى، ولا تشمت بى أحياء العرب، فإنى بنت سيد قومى، وأن أبى كان يحمى الذمار، ويفك العانى، ويشبع الجائع، ويطعم الطعام، ولم يَرُد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم الطائى.

فقال صلى الله عليه وسلم: يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا، لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه، خلوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، وان الله يحب مكارم الأخلاق.

ومن يتابع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي قبل تكليفه بالرسالة يعرف أنه كان متمسكا بحسن الخلق، يظهر هذا جليا عندما نعرف أنه صلى الله عليه وسلم كان مشهوراً بين قومه بالصادق الأمين، فلما كلفه الله تبارك وتعالى بالرسالة كان صلى الله عليه وسلم مشغوفا بمكارم الأخلاق، وكان يحض الناس على التمسك بها، شغفه بتبليغ الرسالة، وبطاعة الله سبحانه وتعالى وتقواه، فكان المثل الأعلى فى الرحمة والحياء والكرم والشجاعة، والوفاء بالوعد، والصدق فى القول والأمانة والعدل وفى كل ما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال، فكان خليقاً بثناء الله عز وجل عليه فى القرآن الكريم، مثل قوله تعالى:

- ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ «سورة القلم: ٤»

- وقوله تعالى ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ «سورة الحاقة: ٣٨ - ٤٠»

- وقوله عز من قائل ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ «آل عمران: ١٥٩»

- وقوله عز وجل ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ «سورة الأحزاب: ٢١»

- ويكفيه صلى الله عليه وسلم تشريفا أن الله تبارك وتعالى أقسم بحياته فى قوله تعالى: ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ «سورة الحجر: ٧٢» ولم يقسم الله عز وجل بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم، أما الثناء عليه صلى الله عليه وسلم من البشر، ممن عايشوه وتعاملوا معه فكثير وكثير، ويكفينا أن نذكر هنا قول الإمام على بن أبى طالب الذى تربى معه صلى الله عليه وسلم فى بيته منذ الطفولة، وعاصره منذ بداية نزول وحى السماء عليه صلى الله عليه وسلم وعلى مدى سنى الدعوة الاسلامية التي استمرت زهاء ثلاثة وعشرين عاماً.

قال الإمام على يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه كان أجود الناس كفا، وأجرأ الناس قلبا، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه[1] .

وبعد..

فهذه بعض لمحات عن تمسك الرسول صلى الله عليه وسلم بالأخلاق الطيبة.. وهى تدل دلالة واضحة على بعده صلى الله عليه وسلم عن العنف الذى كان ينفر الناس منه وينصحهم بالتمسك بحسن الخلق.

فكيف يأتى اليوم من يشكك فى ذلك ويتهمه صلى الله عليه وسلم بالعنف والشر: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً ﴾ «سورة الكهف: ٥» وافتراء، لقد ضلوا عن الحقيقة، وأضلوا قومهم عنها، فسوف يلقون غَيًّا إلا من تاب وعاد إلى الحق والحقيقة.

(١) سيرة أبن هشام : ٤٢/٢ .

حُسْنُ عشرته وأدبه صلى الله عليه وسلم:

تواترت الأخبار الصحيحة عن حسن عشرة النبى صلى الله عليه وسلم وأدبه مع أصناف الخلق.

قال الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسع الناس صدرًا، وأصدقهم لهجة، وأكرمهم عشرة، وكان عليه الصلاة والسلام يؤلف بينهم ولا ينفرهم، يكرم كبير كل قوم ويوليه عليهم، وكان يتفقد أحوال أصحابه، ويعطى اهتمامه لكل فرد من جلسائه حتى ليتصور أنه المستحوذ على اهتمامه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخُلُقه، فصار لهم أبا، وصاروا عنده فى الحق سواء، بهذا وصفه ابن أبى هالة، وكان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخَّاب، ولا فحَّاش، ولا عيَّاب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهى، ولا يؤيس منه، قال الله تعالى له: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٩)

وقال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (سورة فصلت: ٣٤)، وكان صلى الله عليه وسلم يجيب من دعاه، ويقبل الهدية، ولو كانت كراعا ويكافىء عليها، وكان يمازح أصحابه، ويخالطهم، ويحادثهم، ويداعب صبيانهم، ويجلسهم فى حجره.

الخلاصة:

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتودد إلى الناس، ويتعامل معهم بالصبر وحسن الخلق.

ونحن.. على مستوى الأفراد والجماعات فى أشد الحاجة إلى التمسك بهذه الأخلاق، ونشرها فى الجماعات والمجتمعات حتى تجمعهم المودة والتراحم والتعاطف، ويصبح المجتمع مجتمعاً إسلامياً كما أراد صلى الله عليه وسلم بل تصبح كل المجتمعات تظلها راية الإنسانية الفضفاضة التى تسع الجميع، وتجمع بينهم.

أخلاق رسول الله ﷺ

كما ذكرت فى التوراة والإنجيل

لقد منح الله سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم من كمال الخَلق وحُسن الخُلق ما لم يمنحه لغيره من البشر جميعا، الذين أتوا إلى الدنيا قبله، والذين سوف يأتون من بعده.

فقد ورد الحديث عن أخلاقه الطيبة فى التوراة والإنجيل، وقد سبق الحديث عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم فى القرآن ونورد فيما يلى بعضا من تلك اللمحات التي تتحدث عن ذلك فى التوراة والإنجيل:

جاء فى كتاب السيرة النبوية من الطبقات الكبرى لابن سعد[1] ما يلى:

١- أخبرنا معن بن عيسى، أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال: بلغنا أن عبدالله بن سلام، وكان من كبار اليهود بالمدينة، كان يقول: إن صفة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وردت فى التوراة: «يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وحرزا للأميين، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزى السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة المتعوجة، بأن يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح به أعينا عُمياً، وآذانا صُماً، وقلوباً غُلفا فقال: صدق عبدالله بن سلام إلا أنها بلسانهم أعينا عموميين، وآذانا صموميين، وقلوبا غلوفيين».

٢- أخبرنا يزيد بن هارون قال «أخبرنا جرير بن حازم، حدثنى من سمع الزهرى يحدث أن يهوديا قال: ما كان بقى شيء من نعت (صفة) رسول الله، صلى الله عليه

(١) السيرة النبوية من الطبقات الكبرى لابن سعد - المجلد الأول ص٣٦٠، ٣٦١، الناشر: الزهراء للإعلام العربى.

وسلم، فى التوراة إلا رأيته إلا «الحلم»، وإنى أسلفته ثلاثين ديناراً إلى أجل معلوم، فتركته حتى إذا بقى من الأجل المحدد يوم، أتيته فقلت: يا محمد اقض حقى (أى ادفع لى) فإنكم معاشر بنى عبدالمطلب قوم مُطل (مماطلين)، قال عمر بن الخطاب: يا يهودى يا خبيث، أما والله لولا مكانه لضربت الذى فيه عيناك! (يقصد وجهه).

فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: غفر الله لك يا أبا حفص، نحن كنا إلى غير هذا منك أحوج، كنا أحوج إلى أن تكون أمرتنى بقضاء ما علىَّ، وهو إلى أن تكون أعنته فى قضاء حقه أحوج، قال اليهودى: فلم يزده جهلى عليه إلا حلماً، قال: يا يهودى إنما يحل حقك غدا، ثم قال: يا أبا حفص اذهب به إلى الحائط (البستان) الذى كان سأل أول يوم، فإن رضيه فأعطه كذا وكذا صاعا وزده لما قلت له كذا وكذا صاعا فإن لم يرضَ فأعطه ذلك من حائط كذا وكذا، فأتى به الحائط فرضى تمره، فأعطاه ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أمره من الزيادة، قال: فلما قبض اليهودى تمره قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله، ما حملنى على ما رأيتنى صنعتُ يا عمر إلا أنى كنت رأيت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفته فى التوراة كلها إلا صفة «الحلم» فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وُصفَ فى التوراة، وإنى أشهد أن هذا التمر وشطر (نصف) مالى فى فقراء المسلمين، فقال عمر: فقلت: أو بعضهم، فقال: أو بعضهم، قال: وأسلم أهل بيت اليهودى كلهم إلا شيخا كان قد بلغ المائة من عمره، فعسا (ظل) على الكفر.

وفى هذه القصة ما يدل دلالة واضحة على تمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحلم والصبر وسعة الصدر والتسامح مع الآخرين حتى لو جهلوا عليه صلى الله عليه وسلم وقد نصحنا بذلك فقال: «التمس لأخيك سبعين عذرا، فإن لم تعلم له عذرا، فقل لعل له عذرا لا أعلمه».

فإذا تمسك الناس بهذا السلوك الطيب، شاعت بينهم المودة والتراحم، والعطف، والحب، فتقل- بل تنعدم- المشاكل بينهم، ويصبح المجتمع مجتمعا مترابطا، متعاونا، فينصرف كل فرد إلى عمله، يُحَسِّنه ويُجَوِّده، فيزداد الإنتاج، وترتفع جودته، ويعيش الناس فى رخاء.

على كل حال، ما سبق عرضه مجرد أمثلة، وهى قليل من كثير مما ورد في التوراة والإنجيل، وهما الكتابان المنزلان على نبى الله موسى، ونبى الله عيسى عليهما وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام.

ما قدمه النبى ﷺ للبشرية من الخير

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم للبشرية خيرا كثيرا متمثلاً فى الأخلاق السامية، والمبادىء العظيمة التى أرساها لكى تكون دستورا للأفراد والجماعات، لأنه صلى الله عليه وسلم تمسك بها وعلمها للمسلمين الأوائل، وطبقها فى الواقع، فكانت سلوكا تمسك به الجميع فكانوا القدوة الحسنة والنموذج المثالى الذى تحتاجه البشرية فى كل زمان ومكان حتى ينتشر الحب والتعاون بين الناس، ويعيش الجميع فى بلادهم وأوطانهم فى أمن وأمان.

وفيما يلى نعرض لنماذج لتلك الأخلاق الإسلامية الطيبة حتى نتمسك بها اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين الأوائل:

١- الصدق والأمانة.

٢- الحِلم والاحتمال والعفو عند المقدرة.

٣- الصبر على المكاره، وتحمل المشقات.

٤- الكرم والجود وتقديم العون والمساعدة لمن يحتاجها.

٥- الشجاعة والنجدة: للدفاع عن الأوطان والأعراض والأنفس والأموال، حتي يطمئن كل فرد فى المجتمع.

٦- التواضع: مع الفقراء والضعفاء والحنو عليهم.

٧- الحياء: محافظة على الأعراض، وخصوصيات كل إنسان.

٨- الوفاء بالعهود، وصلة الرحم: حتى تسير أمور الحياة ونشاطاتها بيسر وسهولة.

فلو تمسك الناس فى كل مجتمع بهذه الأخلاق، لانتشر فى المجتمع الأمن

والأمان، وساد الحب والمودة بين الناس؛ فلا حقد ولا حسد، ولا كراهية، ولا بغضاء.

وبذلك يصبح المجتمع.. مدينة فاضلة كما تمناها بعض الفلاسفة ولم يروها؛ لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم حققها مع المسلمين الأوائل منذ ١٤٠٠ عام.

والخلاصة:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم للبشرية النموذج الصالح الذى يبنى المجتمع على الخير والحب والمودة والتعاون والصبر وكل الأخلاق الطيبة الصالحة للمجتمع القوى.

وإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم قد انتقل إلى جوار ربه فقد ترك لنا كتاب الله (القرآن الكريم) وسنته صلى الله عليه وسلم، ولأنهما نبع الخير كله فقد أوصانا بالتسمك بهما، وبما ورد فيهما من النصائح والتوجيهات فقال لنا وللجميع، «تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما.. كتاب الله وسنتى، ولن يتفرقا حتى يردا علىَّ الحوض»[(١)].

وقال أيضاً «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، عُضُّوا عليها بالنواجذ»[(٢)].

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان محبا للبشرية جمعاء، يرجو لها الخير والفلاح فى الدنيا والآخرة، وهذه هى أخلاق القائد الذى يحب رجاله، والزعيم الذى يسهر على راحة أهله وأتباعه، والراعى الذى تشغله أمور رعيته فجزاه الله عنا وعن البشرية خيرا.

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة (صحيح).
(٢) رواه (أحمد - أبو داود - الترمذى - ابن ماجة) عن العرباض بن سارية (صحيح).

الفصل الثانى

جوانب الرحمة والسماحة
والعدل والخلق الكريم
فى شخصية النبى ﷺ

سوف نعرض الآن للحديث -بشيء من التفصيل- عن بعض جوانب الرحمة عند رسول الله ﷺ:

الرحمة[1]

الرحمة: مشتقة من الرُّحْم أو الرَّحم، وهو القرابة وأسبابها، وأصلها جميعا الرَّحِم وهو بيت الطفل فى بطن أمه.

وهى تعنى: العطف والرفق والحنان واللين، والشفقة، ونقيضها القسوة والشدة والحِدَّة والفظاظة.

والرحمة: من صفات الخالق عز وجل فهو الرحمن الرحيم، وقد ورد فى القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن الرحمة منها:

١- قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (سورة الأعراف: ٥٦).

٢- وقوله عز وجل: ﴿ **وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ** ﴾ (سورة الكهف: ٥٨).

٣- وقوله عز من قائل: ﴿ **فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ (سورة البقرة: ٦٤).

٤- وقوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ** ﴾(سورة الحجر: ٥٦).

والرحيم من أسماء الله الحسنى فقد ورد قوله تباركت أسماؤه:

١- ﴿ **فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ (سورة البقرة: ٣٧).

---

(١) من كتاب «من أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم، د. أحمد محمد الحوفى الجزء الأول: صـ١٠، دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٩٢م.

٢- و: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة البقرة: ١٤٣).

٣- و: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة: ٩٨).

٤- و: ﴿وا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٢٢).

جوانب الرحمة عند رسول الله ﷺ :

من يتابع سيرة حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم، و جوانب رحمته يجد أنها كثيرة ومتعددة، شملت المسلمين وغير المسلمين، ووسعت الأصدقاء والأعداء، والأحرار والعبيد، وامتدت إلى الصغار والكبار واستوعبت حتى الحيوانات العجماء.

وسوف نعرض لجوانب رحمته صلى الله عليه وسلم على النحو التالى:

أ- بالنسبة للمشركين والأعداء.

ب- بالنسبة للمسلمين.

جـ- بالنسبة للأطفال.

د- بالنسبة للأرقاء.

هـ- بالنسبة للحيوان.

أ- جوانب رحمة النبى ﷺ بالمشركين

رغم أن مشركى مكة آذوا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والمسلمين الأوائل عامة، ووقفوا فى طريق الدعوة الإسلامية.. دعوة توحيد الخالق عز وجل بالعبودية وترك عبادة الأصنام والأوثان، بل لقد وصل الأمر بالمشركين إلى محاولة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة من مكة إلى يثرب، رغم كل ذلك كان صلى الله عليه وسلم رحيما بهم، يدعو لهم بالهداية وكان يكرر: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون».

١- وعندما خرج إلى الطائف بحثا عن بيئة طيبة للدعوة فإن كبار القوم فيها رفضوا دعوته صلى الله عليه وسلم، وحرضوا عليه غلمانهم وسفهاءهم فضربوه بالحجارة حتى سال الدم من قدميه، ولما بلغ به صلى الله عليه وسلم التعب مبلغا جلس يستريح بجوار حائط «حديقة» ورفع وجهه إلى السماء داعيا بالدعاء المشهور الذى يدل على امتلاء قلبه صلى الله عليه وسلم حزنا وكآبة مما لقى من الشدة والعنت، وأسفا على أنه لم يؤمن به أحد، ثم قال صلى الله عليه وسلم: **«اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، إلى من تكلنى؟إلى بعيد يتجهمنى؟ أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى»**(١).

وقد روى البخارى ومسلم تفصيل القصة -بسنده- عن عروة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها حدثته، أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال صلى الله عليه وسلم: «لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال (يقصد أحد رؤساء ثقيف كبار القوم بالطائف) فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت -وأنا

---

(١) قال العلامة الألبانى رحمه الله فى تعليقه على فقه السيرة: أخرج هذه القصة - أى قصة ثقيف - ابن إسحاق بسند صحيح عن محمد بن كعب القرظى مرسلا، لكن قوله: (إن أبيتم فاكتموا على ذلك) - أى طلبه منهم ألا يشيعوا ردهم القبيح عليه - وقوله: (اللهم إليك أشكو...) الدعاء، ذكرهما بدون سند، وكذلك رواه ابن جرير (١/٨٠ - ٨١) من طريق ابن اسحاق، وروى هذه القصة الطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن جعفر مختصراً قال الهيثمى وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة.. وبقية رجاله ثقات)، فالحديث ضعيف «أ هـ» وانظر صحيح البخارى (١٧٩٥) من حديث عائشة رضى الله عنها.

مهموم- على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب -وهو المسمى بقرن المنازل- فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال، فسلم على ثم قال: يا محمد ذلك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» فعلت، والأخشبان هما جبلان بمكة: أبوقبيس والذى يقابله وهو قعيقعان -قال النبى صلى الله عليه وسلم: **«بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئا»**[1].

وفى هذا الجواب الذى أدلى به الرسول صلى الله عليه وسلم تتجلى شخصيته الفذة، وما كان عليه من الخلق العظيم، والرحمة الواسعة التى شملت حتى أعداءه والمسيئين إليه، حتى فى مثل هذا الموقف الصعب، وهذا ما جعل مَلَك الجبال يقول له صلى الله عليه وسلم: **صدق من سماك الرءوف الرحيم.**

وكان المتوقع من رسول الله صلى الله عليه وسلم -وهو بشر- يمر بموقف صعب، وبظروف بالغة الشدة أن يَصْدر منه صلى الله عليه وسلم عكس ذلك، كان المنتظر منه بالمنطق البشرى العادى أن يتصرف كما تصرف نوح عليه السلام -وهو رسول من عند الله ومن أولى العزم- عندما تعب من عناد قومه فدعا عليهم قائلا لربه سبحانه وتعالى: **﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً**  **إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾** (سورة نوح: ٢٦، ٢٧).

٢- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوم غزوة بدر الكبرى وقبيل المعركة: إنى قد عرفت أن رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقى منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله، ومن لقى أبا البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقى

(١) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق (٣٢٣١، ٧٣٨٩)، فتح البارى ٦/٣٦٠، ومسلم: باب ما لقى النبى صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين ٢/١٠٩.

العباس بن عبدالمطلب (عم رسول الله صلى الله عليه وسلم) فلا يقتله، فإنه إنما خرج مستكرها[1].

٣- لما رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قبيلة ثقيف قال له رجل من أصحابه: يا رسول الله ادع عليهم، فقال صلى الله عليه وسلم: **«اللهم اهد ثقيفا وائت بهم»**[2].

٤- لما أسلم ثمامة بن أثال -من اليمامة- التى كانت ترسل القمح إلى مكة، أقسم لأهل مكة -قبل دخولهم فى الإسلام- أنه لن يرسل إليهم حبة من القمح من اليمامة حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عاد إلى اليمامة فمنع قومه أن يحملوا إلى مكة شيئا من القمح فكتب أهل مكة المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: إنك تأمر بصلة الرحم، فكتب صلى الله عليه وسلم إلى ثمامة أن يُخلىِّ بين قومه وبين إرسال القمح إلى أهل مكة، وفى هذا دلالة أكيدة على تمسك الرسول صلى الله عليه وسلم بالخلق العظيم الذى يجب أن يقتدى به كل البشر.. فى كل زمان.. وفى كل مكان، وليس هذا غريبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال عن نفسه وعن دعوته:

- «**بُعثت بالرحمة**»[3]

- وقال صلى الله عليه وسلم: **«إنما أنا رحمة مهداة»**[4]

وعلى ذلك فإن تصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الموقف، وطلبه من ثمامة ومن قومه ألا يمنعوا القمح عن مشركى مكة، رغم استمرارهم على الشرك ورغم إساءاتهم المستمرة للنبى صلى الله عليه وسلم وتأليب القبائل العربية على معاداته صلى الله عليه وسلم ودعوته، لقد كان من حق ثمامة أن يمنع القمح عن مشركى مكة لأنهم فى حالة حرب مستمرة

(١) سيرة ابن هشام: ٢٨١/٢، قال ابن إسحاق وابن هشام إن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل أبى البحترى بن العاص لأنه كان أبعد الناس عن الإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى مكة، وكان ممن قاموا فى نقض صحيفة المقاطعة.

(٢) سيرة ابن هشام: ١٣٠/٤

(٣) رواه مسلم. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى، (٢٠٦ - ٢٦١هـ)، المكتبة الرشيدية، دهلى، الهند وبترقيم محمد فؤاد عبدالباقى.

(٤) رواه الحاكم، وصححه ووافقه الذهبى.

مع المسلمين، ولأن قريشا استباحت لنفسها من قبل مقاطعة المسلمين وحصرتهم فى شعب بنى هاشم بمكة وتعاقدت على مقاطعتهم وتجويعهم ثلاث سنوات وهى مازالت جادة فى الإضرار بالمسلمين ما وجدت إلى ذلك سبيلا.

لكن رحمة النبى صلى الله عليه وسلم بالخَلْق جميعا، حتى المشركين منهم كانت أرفع من الخصومة وأعظم من مقابلة التجويع بمثله، فإنه لم يكد يقرأ كتاب قريش المرسل إليه صلى الله عليه وسلم حتى كتب إلى ثمامة أن يخلى بين قريش وبين قمح اليمامة، رغم علمه صلى الله عليه وسلم أن تجويع قريش، فى حالة عدم حصولهم على القمح من اليمامة، سوف يضعفها أشد الضعف، ويقلل من قدرتها على مقاومة الدعوة، بل لعله يعجل بسعيها إلى اعتناق الإسلام.

فهل يتعلم العالم المتحضر الآن والمتقدم علميا وماديا من هذه المواقف النبوية الكريمة التى تفصل بين توفير ضروريات الحياة للإنسان فى أى مكان.. وفى ظل أى نظام سياسى، وبين الخلاف العقائدى أو الفكرى..؟

وهل يعرف هؤلاء المتشدقون بالحديث الكثير عن حقوق الإنسان، دون أن يلتزموا بشىء منها مع أعدائهم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد طبق حقوق الإنسان -من حيث إنه إنسان، بغض النظر عن دينه أو وطنه، أو النظام السياسى الذى يعيش فى ظله - حدث ذلك، منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام.

٥- فى نهاية غزوة بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأصحابه: **«استوصوا بالأسارى خيرا»**[١]

وقد حدَّث أحد مشركى مكة الذين وقعوا فى الأسر فقال: إن آسريه من المسلمين كانوا فى طريق عودتهم إلى المدينة وهو معهم إذا قدَّموا غذاءهم خصوه بالخبز، وأكلوا هم التمر، والخبز أفضل من التمر عندهم بطبيعة الحال، تنفيذا لوصية النبى صلى الله عليه وسلم إياهم بالأسرى[٢].

---

(١) السيرة النبوية: لأبى محمد، عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميرى المتوفى (٢١٣ أو ٢١٨هـ)، مصطفى البابى الحلبى، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ.
(٢) المرجع السابق.

٦- وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُطلِق الأسير من مشركى قريش نظير فدية يقدمها من المال تتراوح بين ألف وأربعة آلاف درهم، ولكنه صلى الله عليه وسلم أعفى منها الفقراء من المشركين مثل أبى عزة عمر بن عبدالله، لأنه كان فقيرا وأبا لبنات، وعندما اعتذر عن الفدية بسبب فقره فأطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأسر بدون فدية، رغم أن هذا الرجل وغيره من مشركى قريش الذين حضروا من مكة إلى بئر بدر، والمسافة بينهما حوالى ٥٠٠ كيلو متر.

تجشموا مشقة الطريق فى ظروف الصحراء الموحشة، والرحلة الشاقة طوال هذه المسافة، من أجل قتل النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين، من غير ذنب ولا جريرة، ورغم أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه تركوا مكة حيث الوطن.. والديار.. والأموال.. تركوا كل ذلك للمشركين فى مكة.. وهاجروا إلى الشمال حيث يثرب بحثا عن تربة صالحة وبيئة طيبة لنشر دعوة الإسلام.

٧- فى غزوة حنين: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة قتلها خالد بن الوليد، والناس مزدحمون حولها فقال صلى الله عليه وسلم: ما هذا؟ قالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لبعض من كانوا معه: أدرك خالدًا، فقل له إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليدا أو امرأة أو عسيفا[1].

٨- عندما فتح الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم مكة دخل المسجد الحرام، والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله، أقبل على الحجر الأسود، فاستلمه، ثم طاف بالبيت وفى يده قوس، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما، فجعل يطعنها بالقوس ويقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ سورة الإسراء:٨١.

ويقول أيضا: ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ سورة سبأ:٤٩، والأصنام تتساقط على وجوهها.

---

(١) سيرة ابن هشام: ١٠٠/٤ * العسيف: العبد أو الأجير المحتقر.

وكان طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته، ولم يكن مُحْرما يومئذ، فاقتصر على الطواف، فلما أكمله، دعا عثمان بن طلحة سادن الكَعبة، فأخذً منه مفتاحها، وأمر بها ففتحت فدخلها، ورأى فيها الصور، ورأى فيها صورة إبراهيم، وإسماعيل عليهما السلام -يقسمان بالأزلام، فقال: «قاتلهم الله (يقصد من وضعوا تلك الصور) ثم قال: والله ما استقسما بها قط»، ورأى فى الكعبة حمامة من عيدان فكسرها بيده، وأمر بالصور فمُحيت.

ثم أغلق عليه صلى الله عليه وسلم الباب ومعه أسامة بن زيد وبلال بن رباح فاستقبل الجدار الذى يقابل الباب ثم صلى هناك، ثم دار فى البيت وكبَّر فى نواحيه، ووحَّد الله، ثم فتح الباب، وقريش قد ملأت المسجد صفوفا ينتظرون ماذا يصنع؟ فأخذ بعضادتى الباب وهم تحته فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو مال أو دم تحت قدمىَّ هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتل الخطأ شبه العمد -السوط والعصا- ففيه الدية مغلظة، مائة من الإبل، أربعون منها فى بطونها أولادها»، «يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب» ثم تلا هذه الآية **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** سورة الحجرات:الآية ١٣، ثم قال: «يا معشر قريش، ما ترون أنى فاعل بكم؟، قالوا خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «فإنى أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: **﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** سورة يوسف: ٩٢، اذهبوا فأنتم الطلقاء.

عفا صلى الله عليه وسلم عنهم وهم مازالوا على الشرك، ولم يدخلوا فى الإسلام بعد، لأنه صلى الله عليه وسلم الرحيم بهم وبغيرهم فلم يُقم لهم محاكم عسكرية لكى تحكم على من آذوه وتعدوا عليه وعذبوا أصحابه، حتى مات بعضهم من شدة التعذيب، مثل آل ياسر الذين كان صلى الله عليه وسلم يمر عليهم ويراهم فى العذاب ويقول لهم: **«صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة».**

ولم يقتصَّ منهم جزاء ما أساءوا إليه وإلى أتباعه قبل أن يهاجروا ويتركوا

لهم مكة، بلدهم وديارهم وأموالهم فرارا من جبروتهم، وبحثا عن تربة صالحة لنشر الدعوة الإسلامية.

هذه هى أسمى معانى الرحمة يمارسها القوى المنتصر.. والذى يعفو عن أعدائه رغم قدرته على الانتقام منهم وهو فى ساعة الزهو والفخار يعفو عمن ظلموه، ووقفوا فى طريقه وهو يرجو لهم الخير، والهداية إلى طريق النجاة والفلاح، طريق توحيد الواحد الديان، مالك الملك، ولكى ينقذهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم.

على كل حال: هذا هو خلق الإسلام -وهذا هو خلق نبى الرحمة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم.

ب- جوانب رحمته صلى الله عليه وسلم بالمسلمين:

إن مظاهر رحمة النبى صلى الله عليه وسلم بالمسلمين كثيرة ومتعددة لأنها طاعة لله سبحانه وتعالى، حيث قال الله تعالى له: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ سورة آل عمران:١٥٩.

ولأن النبى صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى والقدوة الطيبة للمسلمين، فكان عليه بطبيعة الحال أن يتعامل مع غيره -سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين- بالرحمة والرقة واللين، وقد علمنا الله تعالى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القدوة الحسنة ويجب علينا الاقتداء به والتعلم منه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ سورة الأحزاب:٢١.

وسنعرض فيما يلى لبعض الأمثلة على مظاهر رحمته ﷺ بالمسلمين:

١- جاءه صلى الله عليه و سلم رجل من اليمن، وأراد الجهاد فى سبيل الله فسأله النبى صلى الله عليه وسلم: هل باليمن أبواك؟ قال الرجل: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **هل أذنا لك؟**: قال الرجل: لا، فقال له رسول

الله صلى الله عليه وسلم: **فارجع إلى أبويك فاستأذنهما، فإن فعلا فجاهد، وإن لم يفعلا فبرهما ما استطعت، فإن ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد.**

٢- جاءه صلى الله عليه وسلم رجل آخر ليستشيره فى الجهاد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألك والدة؟ قال: نعم، قال صلى الله عليه وسلم: فالزمها، فإن الجنة عند رجليها.

٣- وقدم عليه صلى الله عليه وسلم رجل آخر يطلب البيعة على الهجرة، وقال: ما جئتك حتى أبكيتُ والديَّ، فقال صلى الله عليه وسلم، ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما[1].

٤- أتته صلى الله عليه وسلم «سَبْيٌ» فشكت إليه ابنته فاطمة زوجة الإمام على بن أبى طالب من مشقة فى خدمة بيتهما، وكانت ضعيفة البنية، وطلبت منه صلى الله عليه وسلم خادما من السَّبْى يساعدها فأمرها صلى الله عليه وسلم أن تستعين على ذلك بالتسبيح والتحميد والتكبير، وقال لها: **لا أعطيك خادما، وأدع أهل الصُّفَّة[2] تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفقه عليهم، ولكن أبيع السبى، وأنفق ثمنه عليهم.**

يتضح من هذه الواقعة رحمته صلى الله عليه وسلم بفقراء المهاجرين المتفرغين للعبادة، وتعلم القرآن الكريم فى الصُّفَّة وإيثارهم على راحة ابنته رغم علمه بحاجتها إلى من يساعدها فى خدمة بيتها لظروفها، ولكنه علمها وعلّمنا جميعا أن نستعين على القيام بأعمالنا وإنجازها بذكر الله وتسبيحه وتحميده وتكبيره فهو المعين على كل حال.

٥- حتى فى أمور العبادة كان صلى الله عليه وسلم، رحيما بالناس، لا يثقل عليهم، وكان يقول: «**إن الدِّين يُسْر، ولن يشادَّ الدينَ أحد إلا غلبه، فادلج فيه برفق**»[3].

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٤٦/١٠، ٧٢ للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى (١٦٤ - ٢٤١هـ)، دار الفكر العربى.

(٢) الصفة: سقيفة المسجد، وكان عددهم نحو أربعمائة، وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم، شرح المواهب اللدنية: لمحمد بن عبدالباقى بن يوسف الزرقانى المصرى: ٣٠٢/٤ (ت: ١١٢٢هـ).

(٣) رواه البخارى (ح ١٤٥)، عن أبى هريرة، (صحيح).

وتطبيقاً لذلك فى الواقع:

أ- عندما شكا إليه رجل أنه يتأخر عن صلاة الصبح مع الجماعة «لأن فلانا» يطيل فى الصلاة عندما يَؤُمهم ، غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: **إن منكم مُنَفِّرين فمن أمَّ الناس فليتجوز (فليخفف) فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة.**[1]

ب- وقال صلى الله عليه وسلم: **إنى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطوِّل فيها، فأسمع بكاء الصبى، فأتجوز (أخفف) فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه.**

جـ- عندما رأى رجلا يُهادى بين ابنيه (أى يمشى مستندا عليهما) قال صلى الله عليه وسلم: ما بال هذا؟ قالوا: إنه نذر أن يمشى إلى الكعبة، قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله عن تعذيب هذا نفسه لَغَنّى» وأمره أن يركب[2].

د- بلغه صلى الله عليه وسلم: أن ثلاثة من شباب المسلمين ذهبوا إلى بيوت زوجاته -أمهات المؤمنين- يتحرون عن عبادته فلما عرفوها قالوا: إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فإنى أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثانى: وأما أنا فأقوم الليل ولا أرقد، وقال الثالث: وأما أنا فلن أتزوج النساء، فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك عنهم دعاهم إليه صلى الله عليه وسلم وقال لهم: **أنتم الذين قلتم كذا وكذا (وذكر لهم ما سبق من أقوالهم): أمَا إنى أتقاكم لله، وأخشاكم لله ولكنى: أصوم وأفطر، وأقوم وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى (أى ليس على سنتى).**

٦- قال الصحابى الجليل عبدالله بن مسعود: إنى لأذكر أول رجل قطع النبى صلى الله عليه وسلم يده، أُتى بسارق فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده، فكأنما أسف وجهه [3] فقالوا: يا رسول الله كأنك كرهت قطعه، فقال صلى الله عليه وسلم: وما يمنعنى، ثم نصح لهم فقال: لا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم، فقالوا: ألا عفوت عنه؟ فقال صلى الله عليه وسلم مُعلِّما للحكام والمسئولين فى كل مكان وزمان: إنه ينبغى للسلطان إذا انتهى

---

(١) البخارى - مسلم - أحمد - ابن ماجة عن ابن مسعود (صحيح).
(٢) اللؤلؤ والمرجان: ١٩٥/٢ فيما اتفق عليه الشيخان البخارى ومسلم.
(٣) أسف وجهه: تغير دلالة على الحزن.

إليه حد أن يقيمه، إن الله عفو يُحِبُّ العفو وقرأ قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة النور: ٢٢).

٧- كانت بركة بنت ثعلبة -وهى أم أيمن- مولاة لوالد النبى صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عبدالمطلب أو لأمه صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب، فصارت للنبى صلى الله عليه وسلم بالميراث، وكانت تحضنه وتخدمه، أعتقها صلى الله عليه وسلم فتزوجها عبيد الحبشى، فولدت له أيمن، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ثم كان يزورها من بعده كل من أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب فى منزلها كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل انتقاله إلى جوار ربه، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: أم أيمن أمى بعد أمى [1] وكان صلى الله عليه وسلم يقول أيضا عنها: أم أيمن بقية من أهل بيتى، ولما مات عنها زوجها عبيد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سرَّه أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن، فأسرع زيد بن حارثة فتزوجها ورزقه الله منها بأسامة.

جـ- جوانب رحمة النبى ﷺ بالأطفال:

لقد كانت جوانب رحمته صلى الله عليه وسلم بالطفولة من العلامات الواضحة، فى تصرفاته، وفى حبه صلى الله عليه وسلم للأطفال وحنوِّه عليهم لأنه كان صلى الله عليه وسلم يعاملهم معاملة خاصة نظرا لظروفهم، وكان ينظر إليهم على أنهم رجال المستقبل.

وسنعرض فيما يلى لبعض أمثلة لتلك المعاملة المثلى:

١- لما استشهد جعفر بن أبى طالب فى غزوة مؤتة، حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسرع إلى دار جعفر فدخل على زوجته أسماء بنت عميس وقال لها صلى الله عليه وسلم: ائتينى ببنى جعفر، فلما أتته بهم تشمَّمهم

(١) زاد المعاد: ٢٦/١: لابن القيم، شمس الدين أبوعبدالله محمود بن بكر بن أيوب (٦٩١، ٧٥١هـ) المطبعة المصرية، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ.

وذرفت عيناه صلى الله عليه وسلم الدمع، فقالت أسماء فى لهفة وقد شعرت بفقد زوجها: يا رسول الله، بأبى أنت وأمى، ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء؟ قال صلى الله عليه وسلم: أصيبوا هذا اليوم وانهمر الدمع من عينيه، فجعلت أسماء تصيح حتى اجتمع النساء إليها وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال: لا تغفلوا عن آل جعفر واصنعوا لهم طعاما فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم[1].

٢- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قبَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن على وعنده الأقرع بن حابس التميمى فقال الأقرع: إن لى عشرة من الولد ما قَبَّلت أحدا منهم فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: **«من لا يَرحم لا يُرْحم»**[2].

٣- وعن أم المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- قالت: جاء: أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنكم تقبلون الصبيان ولا نقبلهم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك؟»[3].

٤- رأى صلى الله عليه وسلم ابنة مولاه زيد بن حارثة مقبلة -بعد استشهاد أبيها فى غزوة مؤتة- فَرَبت على كتفيها وبكى فدهش بعض الصحابة من بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهداء مؤتة، فكان رده صلوات ربى وسلامه عليه على دهشتهم: «إن هذه عبرات الصديق على صديقه الذى فقده».

٥- كان صلى الله عليه وسلم يلاعب الأطفال، ويجلسهم فى حجره، وكان يصُفُّ عبدالله وعبيد الله وغيرهما من أولاد عمه العباسى بن عبدالمطلب، ويقول: من سبق إلىَّ فله كذا (يعنى جائزة) فيستبقون إليه فيقعدون على صدره صلى الله عليه وسلم فيقبلهم، ويلتزمهم (يحضنهم)[4].

٦- كان صلى الله عليه وسلم يُؤْتَى بالصبى الصغير ليدعو له بالبركة،

(١) سيرة ابن هشام: ٢٢/٤
(٢) متفق عليه عند الشيخان، البخارى ومسلم.
(٣) متفق عليه، رواه الشيخان عن عائشة - رضى الله عنها.
(٤) السيرة الحلبية: ٣٧٧/٣: لعلى بن برهان الدين الحلبى الشافعى.

وليسميه، فيأخذه فيضعه فى حجره فربما بال الصبى فيصيح به بعض من يراه فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزرموا[1] الصبى بوله، فيدعه حتى يقضى بوله، ثم يفرغ صلى الله عليه وسلم من دعائه له وتسميته، ويُسَرُّ أهله به، لئلا يروا أنه تأذى ببوله. فإذا انصرفوا غسل ثوبه بيده صلى الله عليه وسلم.

٧- كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى وهو يحمل على عنقه أو على عاتقه (كتفه) أمامة بنت زينب ابنته، وهى لأبى العاص بن الربيع بن عبد شمس، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها.

٨- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور الأنصار، ويسلم على صبيانهم ويمسح على رءوسهم[2].

٩- تعثر الحسن بن على بن أبى طالب وفاطمة ابنته -ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فنزل فحمله وقرأ صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى: **﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** (سورة التغابن: ١٥).

١٠- مر النبى صلى الله عليه وسلم ببيت ابنته فاطمة فسمع حُسينا يبكى، فقال لها: ألم تعلمى أن بكاءه يؤذينى؟

١١- عن أنس -رضى الله عنه- قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالطنا حتى كان يقول لأخ لى صغير: يا أبا عُمير ما فعل النُّغير[3].

د- جوانب رحمة النبى ﷺ بالأرقاء:

كان صلى الله عليه وسلم عطوفا على الأرقاء، أوصى كثيرا بحسن معاملتهم والرحمة بهم فقد أخبر محمد بن عبدالله الأسدى، عن سفيان عن عاصم بن عبيد الله عن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فى حجة الوداع: **«أرقاءكم أرقاءكم! أطعموهم مما**

(١) لاتزرموا: لاتقطعوا

(٢) كنز العمال: لعلاء الدين، على المتقى بن حسام الدين البرهان فورى، الهندى (ت٩٧٥هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الخامسة ٣٠/٤.

(٣) يخالطنا بالملاطفة وطلاقة الوجه والمزح، وأخوه كان من أمه وهو ابن أبى طلحة زيد بن سهيل الأنصارى كان له طائر مات فحزن عليه، النُّغير: مصغر نغز وهو طائر كالعصفور محمر المنقار يسميه أهل المدينة وأهل مصر البلبل.

تأكلون واكسوهم مما تلبسون! وإن جاءوا بذنب لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله (يقصد الأرقاء) ولا تعذبوهم»[1].

وفى رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم أوصى بهم فى آخر خطبة له وجاء فى وصيته صلى الله عليه وسلم بهم قوله: «فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم، فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله، فإن الله ملككم إياهم، ولو شاء لملكهم إياكم».

ونعرض فيما يلى لبعض الأمثلة من نصائحه وإرشاداته صلى الله عليه وسلم فى معاملة الأرقاء:

١- عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال: سابيت رجلا (أى أخذته من أسارى الحرب) فعيَّرته بأمه فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا ذر أعيَّرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم»[٢].

٢- أرسل صلى الله عليه وسلم يوما وصيفة فى قضاء عمل، فأبطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم لها: «لولا خوف القصاص لأوجعتك بهذا السواك»[٣].

٣- بعث صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك يوما لقضاء حاجته فأبطأ عليه فتبعه صلى الله عليه وسلم فوجده فى فتية يلعبون فقال له: «يا أنيس اذهب إلى حيث أمرتك»[٤].

٤- خرج أبو ذر الغفارى إلى الناس يوما ومعه غلامه يرتدى حُلَّة مثل حلته فسئل فى ذلك[٥] فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن الأرقاء: «هم إخوانكم وخولكم، جلعهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم».

---

(١) رواه أحمد - عن ابن مسعود عن يزيد بن الحارث (حسن).
(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: ٣٨، ٣٩ - وسند الترمذى: ٢٨٧١ ومسند أحمد بن حنبل: جـ٥ صـ١٦١ - فتح البارى: ١: ٨٤، ١٠: ٤٦٥.
(٣) مجمع الزوائد: ١٠: ٣٥٣ - المطالب العالية لابن حجر ١٨٣٥.
(٤) صحيح مسلم: ٧١/١٥
(٥) فسئل فى ذلك: أى سئل: تلبس غلامك مثل حلتك؟

٥- أخبرنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم قال: كان النبى صلى الله عليه وسلم، يركب الحمار ويجيب دعوة المملوك[١].

٦- أخبرنا بكر بن عبدالرحمن (قاضى أهل الكوفة): حدثنى عيسى بن المختار عن محمد بن عبدالرحمن بن أبى ليلى عن مسلم أبى عبدالله عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يجيب دعوة العبد[٢].

٧- أخبرنا بكر بن عبدالرحمن حدثنى عيسى بن المختار عن محمد بن عبدالرحمن بن أبى ليلى عن ابن الزبير عن جابر بن عبدالله عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يجيب دعوة العبد.

هـ- رحمة النبى ﷺ بالحيوان:

قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٧)، والعالمين: جمع مفرده: عالم، وبذلك فهى تشمل عالم الإنسان، وعالم الحيوان، وعالم النبات، وعوالم أخرى لا نعرفها.

فالرسول صلى الله عليه وسلم أرسله الله تعالى رحمة لجميع العوالم الموجودة فى الأرض.

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله: «ولكم فى كل ذات كبدٍ حرى (رطبة) أجر»[٣] والمقصود بذات الكبد الرطبة أى كل كائن حى، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يوصى كثيرا بالرحمة بالحيوان وإطعامه ومعاملته بالحسنى.

وسنعرض فيما يلى -إن شاء الله- لبعض الأمثلة التى توضح ذلك والتى تحض كل إنسان على الرحمة بالحيوان:

١- عن سهيل بن الحنظلية قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعير

(١) السيرة النبوية: من الطبقات الكبرى، لابن سعد، المجلد الاولى ، ص٣٧٠، الزهراء للإعلام العربى.
(٢) السيرة النبوية من الطبقات الكبرى لابن سعد، المجلد الأول، ص ٣٧٠، : الزهراء للإعلام العربى.
٣) رواه احمد عن ابن عمر - وأحمد وابن ماجة عن سراقة ابن مالك (صحيح).

هزيل قد لحق ظهره ببطنه، فقال: **«اتقوا الله فى البهائم المعجمة فاركوبها صالحة، وكلوها صالحة»**[1].

٢- أكل صلى الله عليه وسلم يوما رطبا فى يمينه، فحفظ النوى فى يساره، فمرت شاة، فأشار إليها بالنوى، فجعلت تأكل من كفه اليسرى، وهو يأكل بيمينه حتى فرغ، وانصرفت الشاة. وكان صلى الله عليه وسلم يأكل لحم الطير الذى يصاد ولكنه لم يكن يتبعه ولا يصيده».؟

٣- عن عبدالله بن عمر عن أبيه رضى الله عنهما قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فانطلق لحاجته فرأينا (حُمَّرة)[٢] معها فرخان، فأخذنا فرخيها فجاءت الحُمرة فجعلت تُعرِّش[٣] فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها.

٤- كان صلى الله عليه وسلم يُصْغى[٤] للهرة الإناء فتشرب منه ثم يتوضأ بفضلها[٥].

٥- كان صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله كتب الإحسان على كل شىء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»[٦].

٦- وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحُدُّ شفرته وهى تلحظ[٧] إليه ببصرها فقال له:«أتريد أن تميتها مرتين؟ هلا حددت شفرتك قبل أن تضجعها»[٨].

٧- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عُذِّبت امرأة فى هِرَّة (قطة)، سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض»[٩].

(١) رواه أحمد. أبوداود عن سهيل بن الحنظلية (صحيح).
(٢) الحمرة: طائر يشبه العصفور.
(٣) تعرش، ترفرف.
(٤) يصغى: يميل الإناء.
(٥) صحيح: رواه الطبرانى
(٦) رواه أحمد - مسلم - أبوداود - الترمذى - النسائى. ابن ماجة عن شداد بن أوس.
(٧) تلحظ: تنظر.
(٨) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.
(٩) رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر (صحيح)، خشاش الأرض: حشراتها.

٨- فى أثناء مسيره صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة عام الفتح، رأى على ماء الطريق (بئر) كلبة تهرُّ [١] على أولادها وهم حولها يرضعونها فأمر رجلا من أصحابه أن يقوم حذاءها حتى لا يعرض أحد من الجيش لها ولا لجرائها[٢].

وقد كان من المتوقع فى حالة الزحف ألا يعبأ ولا ينشغل بالكلبة ولا بجرائها ولم يكن من المتوقع أيضا أن يكلف صلى الله عليه وسلم أحدا بحراستها وحمايتها وإبعاد الفزع والخوف عنها.

لكن رحمة النبى صلى الله عليه وسلم كانت فوق كل توقع لأن أخلاقه الكريمة كانت فوق ما يتوقع كل الناس.

٩- رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم (حمارا) قد وُسِمَ (أُحْرِق) فى وجهه لوضع علامة عليه، فأنكر ذلك، ونهى عن وَسْم الحيوان فى وجهه وعن ضربه على وجهه.

١٠- كانت السيدة عائشة -رضى الله عنها- مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم: **«يا عائشة عليك بالرِّفْق، فإنه لا يدخل فى شىء إلا زانه، ولا ينزع من شىء إلا شانه».**

١١- أوصى صلى الله عليه وسلم كثيرا برحمة الحيوان والإشفاق عليه ونورد فيما يلى بعض الأحاديث النبوية التى تحض على ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم:

أ- لعن الله من مثَّل بالحيوان[٣].

ب- اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة [٤].

جـ- نهى عن خصاء الخيل والبهائم[٥].

---

(١) تهر: تحنو.

(٢) كتاب المغازى للواقدى: لمحمد بن عمر بن واقد (ت: ٢٠٧هـ)

(٣) رواه أحمد - مسلم عن عائشة (صحيح).

(٤) روله أحمد - البخارى - مسلم - النسائى عن ابن عمر (صحيح).

(٥) رواه أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما.

د- نهى عن التحريش بين البهائم[1].

والتحريش: يشبه المسابقات التى تجرى بين الحيوانات: كالكلاب والديوك الرومى.. إلخ التى يقيمها الناس فى بعض الدول المعاصرة.

هـ- أما بلغكم أنى لعنت من وَشَمَ البهيمة فى وجهها أو ضربها فى وجهها.

الخلاصة

ما سبق من الأمثلة -وهى قليل من كثير- يدل على امتلاء وتشبع نفسية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرحمة التى وَسِعتْ الجميع.. كل من تعامل معه صلى الله عليه وسلم: الصديق والعدو، والقوى والضعيف، والعبد والحر، والكبير والصغير وحتى الحيوان.

فلقد فاض بها قلبه الكبير صلى الله عليه وسلم فكانت فى فمه بشرا، وفى عينيه دمعا وفى يده جودا وكرما، تلك الرحمة الشاملة، تدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن نتاجا للبيئة التى ولد وعاش فيها وإنما كانت فى فطرته التى فطره الله تعالى عليها.

---

(١) رواه أبوداود - الترمذى عن ابن عباس (ضعيف).

العدل فى شخصية رسول الله ﷺ :

تعريف العدل:

لقد عرفه مسكويه بأنه: فضيلة للنفس تحدث من اجتماع الفضائل الثلاث: الحكمة والعفة والشجاعة، وذلك عند مسالمة هذه القوى بعضها لبعض واستسلامها للقوة المميزة حتى لا تتغالب ولا تتحرك نحو مطالبها على سوء طبائعها ويحدث للإنسان بها سمة يختار بها أبدا الإنصاف من نفسه أولا، ثم الإنصاف والانتصاف من غيره وله [1].

والمراد بالعدل هنا: إعطاء كل ذى حق حقه، بغير تفرقة بين المستحقين للحق، ومؤاخذة المسىء أو المقصر على قدر إساءته أو تقصيره بدون إعنات أو محاباة.

ونظرا لأهمية العدل فى إصلاح حال الفرد والمجتمع فقد أمر الله عز وجل بالتمسك بالعدل، ونشره بين الناس فى آيات كثيرة وردت فى كتاب الله تعالى مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ سورة النساء:٥٨، وأمر سبحانه وتعالى بالعدل حتى مع الأعداء ونهى عن الظلم خضوعا للبغضاء فقال -عز من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ [2] قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ سورة المائدة:٨، وأمر -سبحانه وتعالى- بالعدل بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته، وإلى المسلمين

(١) تهذيب الأخلاق: ١٥ لابن مسكويه.
(٢) لا يجرمنكم شنآن قوم: لايحملنكم بغضكم لهم.

من بعده، حيث قال تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣) إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ سورة المائدة: الآيات:٤٢-٤٨.

جوانب العدل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن جوانب العدل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت كثيرة ومتعددة، شملت حياته كلها حتى قبل أن يكلف بالرسالة ويرجع ذلك إلى التربية الربانية والأخلاق القرآنية التى نشأ عليها منذ نعومة أظفاره.

وكانت فطرته السليمة صلى الله عليه وسلم مهيأة للعدل منذ شبابه، فقد اشترك -فى شبابه- فى حلف عرف باسم حِلف الفُضُول، تعاهد أصحابه على مقاومة الظلم وإنصاف المظلومين.

وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الحلف، وقال بعد تكليفه

بالرسالة: «لقد شهدتُ فى دار عبدالله بن جدعان حِلْفا ما أحب أن لى به حُمرُ النعم [1] ولو دُعى به فى الإسلام لأجبت» [2].

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبلغ للشريعة، والمطبق لها فى أرض الواقع، وهو القاضى الأول الذى يطمئن الناس إلى أحكامه، ويقتدون به وهو المثل الأعلى، والقدوة الحسنة فى نشر العدل والتمسك به.

وسنعرض فيما يلى لأمثلة من مظاهر عدله صلى الله عليه وسلم حتى نتأسى بها فى حياتنا:

١- وجد صلى الله عليه وسلم من خيار أصحابه قتيلا بين اليهود هو عبدالله بن سهل الأنصارى -فلم يَجُرْ على اليهود، ولم يظلمهم فى تقدير الدية، ولم يزد عن الحق والعدل، بل طلب ديته مائة ناقة كما كان يفعل العرب، فى الوقت الذى كان أصحابه فى حاجة إلى بعير واحد يتقوون به.

٢- كان صلى الله عليه وسلم يصل رحمه من غير أن يؤثرهم على من هم أحق منهم رغم أنه صلى الله عليه وسلم كان يُجِلُّ عمه العباس إجلاله للوالد والوالدة ولكنه لم يفضله فى عطاء أبدا.

٣- قال النعمان بن بشير: أعطانى أبى عطية (هدية) فقالت أمى له: لا أرضى حتى تشهد رسول الله عليها، فأتى أبى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: إنى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة (أم النعمان) عطية فأمرتنى أن أشهدك يا رسول الله. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «هل أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»** فرجع أبى فرد عطيته.

الخلاصة

يتضح من الأمثلة السابقة، وهى قليل من كثير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان أعدل الناس، وأصدقهم لهجة وأعظمهم أمانة.

اعترف له بذلك أصدقاؤه وأعداؤه حتى أنه كان يوصف قبل تكليفه بالرسالة بالأمين والصادق، كما سبق وأشرنا.

---

(١) أى لا أحب نقضه وإن دفع لى أجود الإبل فى مقابل نقضه.
(٢) السيرة لابن هشام: ١٤١/١ .

مظاهر المساواة بين الناس عند النبي ﷺ :

المساواة هي أحد مظاهر العدل بين الناس وعدم التفرقة بينهم بسبب اللون أو الجنس أو المنصب، وقد اهتم صلى الله عليه وسلم بها اهتماما كبيرا، وفيما يلى بعض الأمثلة التى تدل على ذلك.

١- لما نزل عليه -صلى الله عليه وسلم- قول الله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ سورة الشعراء:٢١٤، نادى عشيرته بطنا بعد بطن وقال لهم: **«يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم، لا أغنى عنكم من الله شيئا، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبدالمطلب (عمه) لا أغنى عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمد سلينى ما شئت من مال، لا أغنى عنك من الله شيئا».**

٢- حتى مع ابنته فاطمة لم يكن يحيد عن المساواة بينها وبين غيرها فقد ورد أنها شكت إليه صلى الله عليه وسلم ما تلقى من مشقة فى أعمال منزلها، وطلبت منه خادما من السَّبْى يساعدها فى العمل، فرفض، وأمرها أن تستعين على عملها بالتسبيح والتحميد والتكبير وقال لها صلى الله عليه وسلم: «لا أعطيك وأدع أهل الصُّفَّة تطوى بطونهم من الجوع» وقد سبقت الإشارة إلى ذلك أى أنه صلى الله عليه وسلم آثر عليها فقراء المهاجرين الذين كانوا يقيمون بسقيفة المسجد وليس لهم مورد رزق [1].

أثر العدل والمساواة فى إصلاح حال المجتمع:

جاء الإسلام والناس طبقات والعرب درجات، فسوى بينهم مساواة واقعية

(١) شرح الزرقانى: ٣٠٢/٤.

وحقيقية، لم يعرف العالم لها مثيلا على مدى الزمن والتاريخ، فلا عبرة بالحسب والنسب، ولا بالجاه، ولا بالمال، ولا باللون، بل نشر مبدأ العدل والمساواة بين الجميع وقال صلوات ربى وسلامه عليه: **لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح**، استنادا إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ سورة الحجرات:١٣، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لأعجمى على عربى، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى والناس لآدم وآدم من تراب [١]، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله أذهب عنكم عُبَيَة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقى وفاجر شقى، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب» [٢]، وقد كان العدل بين الناس من أقوى البواعث على هذه المساواة.

وسنعرض فيما يلى -بعون الله- بعضًا من مظاهر المساواة الإسلامية التى حققها نشر العدل بين الناس:

١- فى بداية الدعوة الإسلامية فى مكة المكرمة: قال للنبى صلى الله عليه وسلم بعض سادات قريش مثل: الأقرع بن حابس، وعباس بن مرداس السلمى وعيينة بن حصن الغزارى: اجعل لنا يوما ولهم (يقصدون الفقراء مثل: بلال بن رباح، وسلمان الفارسى، وأبى ذر، وعمار بن ياسر، وأصحاب الصفة من الفقراء) -يوما آخر، يجيئون إليك ولا نجئ ونجىء ولا يجيئون، وذلك لأنهم (أى السادة) شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم التأذى برائحتهم فأجابهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى طلبهم رغبة منه فى تقوية الإسلام بهؤلاء السادة فنزل عليه صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ سورة الكهف:٢٨-٢٩.

٢- يوم فتح مكة فى العام الثامن للهجرة أذَّنَ بلال بن رباح على الكعبة فقال الحارث بن هشام وسهل بن عمرو وخالد بن أسيد: هذا العبد الأسود

(١) كنز العمال: ٢٢/٢. لعلاء الدين، على المتقى بن حسام بن البرهان فورى، الهندى (ت: ٩٧٥هـ). رواه أحمد عن رجل (صحيح). مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة.
(٢) عُبية الجاهلية: تكبرها وتعاظمها بالأنساب. رواه أحمد - أبوداود عن أبى هريرة (حسن).

يؤذن؟ فنزل على النبى صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى ردا على هذه التفرقة بين البشر قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ سورة الحجرات:١٣.

٣- رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجانبه رجل فقير، فانقبض الغنى عنه، وجمع ثيابه، فقال النبى صلى الله عليه وسلم للغنى: أخشيتَ أن يعدو إليك فقره..[١].

٤- قال أبوذر الغفارى: قلت يوما لرجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن السوداء، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر، ثكلتك أمك، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل» [٢] فقال أبو ذر: فاضطجعت وقلت للرجل: قُمْ فطأ على خدى.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحض كثيرا على العدل والمساواة بين الناس، ونورد فيما يلى بعضا من نصائحه وتوجيهاته صلى الله عليه وسلم حتى ينتشر العدل والمساواة بين الجميع ويصبح المواطنون متساوين فى الحقوق والواجبات فتسود بينهم المودة والتراحم والتعاطف، ويصبح المجتمع مجتمعا إسلاميا ومتعاونا، يتحقق فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم: **«مثل المسلمين فى تراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»** [٣].

١- الناس كأسنان المشط [٤].

٢- الظلم ظلمات يوم القيامة.

٣- لا يقضى أحد بين خصمين وهو غضبان [٥].

٤- سمع النبى صلى الله عليه وسلم خصومة أمام باب حجرته، فخرج إلى المختصمين، وقال لهم **«إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلىَّ فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع فمن قضيت له**

(١) المغنى عن حمل الأسفار للعراقى: ٣/٣٦٦
(٢) مجمع الزوائد للهيثمى: ١/٢٦١ طأ على خدى: أى ضع قدمك على خدى.
(٣) أخرجه البخارى (ح٢٣١٥)، ومسلم (٢٥٧٩) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.
(٤) اللآلئ المصنوعة: ٢/١٥٦
(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٥/٣٦

بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها» [1].

٥- «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد».

٦- من أعان ظالما ليدحض بباطله حقا فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله.

٧- من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد دضادَّ الله عز وجل.

٨- ثلاث منجيات وثلاث مهلكات: فأما المنجيات: فالعدل فى الغضب والرضا، وخشية الله فى السر والعلانية، والقصد فى الفقر والغنى.

٩- إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

١٠- من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم فى لحظه [2] إشارته ومقعده ومجلسه.. رواه الدارقطنى - البيهقى - الطبرانى فى الكبير عن أم سلمة (ضعيف).

١١- من آذى ذميا [3] فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة.

١٢- من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة [4].

---

(١) رواه مالك - أحمد - البخارى ومسلم - أبوداود - الترمذى - النسائى - ابن ماجة - عن أم سلمة (صحيح).
(٢) لحظه: نظره. القصد : الوسط
(٣) الذمى: من له ذمة أى عهد وميثاق مع المسلمين.
(٤) كنز العمال : ١٣/٢ .

الفصل الثالث

التصدى لمحاولات النيل
من النبى ﷺ ومن مكانته

سنعرض فيما يلى لبعض الانتقادات التى وجهها أعداء الإسلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنحاول التصدى لقائليها والرد عليها بما يوضح الأمور ويجلى المواقف مستعينين فى ذلك بالآتى:

أولا: بما ورد فى القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة وعلى أساس المبدأ الإسلامى المعروف وهو قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ سورة النحل: آية ١٢٥.

ثانيا: أقوال وآراء بعض المنصفين من المستشرقين وغيرهم، والمنشورة فى هذا الشأن ومنهم على سبيل المثال - لا الحصر.

١- إيتين دينيه الفرنسى[1]: الذى ألف بالاشتراك مع سليمان بن إبراهيم الجزائرى -كتابا بعنوان (محمد رسول الله) نشره فى عام ١٩١٦، وتمت ترجمته إلى اللغة العربية فى عام ١٩٦٥م بمعرفة دكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق، ودكتور محمد عبدالحليم، ونشرت الطبعة الثالثة من الترجمة عام ١٩٨٦م، وقد اشتمل على آراء عدد كبير من المستشرقين المنصفين الذين عرضوا وجهات نظرهم فى رسالة الإسلام ورسول الإسلام دون تحيز، من أمثال: اللورد هيدلى الإنجليزى، والأديب والكاتب الروسى تولستوى والكاتب الفرنسى هنرى دى كاسترى وغيرهم.

٢- مايكل هارت: وهو عالم أمريكى معاصر ألف كتابا تحت عنوان «العظماء مائة، أعظمهم محمد» قام بترجمته إلى اللغة العربية الأستاذ أنيس منصور ونشرت الطبعة الأولى من النسخة المترجمة فى عام ٢٠٠٣ والطبعة الخامسة فى يونيو ٢٠٠٥م.

---

(١) انظر كتاب «محمد رسول الله» تأليف إيتين دينيه، ترجمة عبدالحليم محمود ومحمد عبدالحليم، الطبعة الثالثة للترجمة ١٩٨٦، ص١٣ ومابعدها.

وفيما يلى بعض الافتراءات والانتقادات التى وُجِّهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الرسالة، والرد عليها واحدة بواحدة.

١- قالوا: إن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم كان يقرأ ويكتب، فقرأ التوراة والإنجيل وأخذ تعاليمه منهما.

وقد رد القرآن على هذه الفرية فقال: **﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾** (سورة العنكبوت: ٤٨)، ولهؤلاء ومن سار على نهجهم نقول(١) :

ما كان محمد يقرأ ولا يكتب، بل كان كما وصف نفسه مرارا -نبياً أُمياً- وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه ولاشك أنه يستحيل على رجل فى المنطقة العربية أن يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس، لأن حياتنا نحن العرب ظاهرة للعيان. على أن القراءة والكتابة كانت معدومة فى ذلك الحين فى الجزيرة العربية، كذلك من الخطأ -مع معرفة أخلاقنا نحن العرب- أن يُستدل على معرفة النبى للقراءة والكتابة باختيار السيدة خديجة رضى الله عنها - إياه لتجارتها فى الشام ولم تكن لتعهد إليه بأعمالها إن كان جاهلا غير متعلم، فإنه يوجد بين تجار كل قوم غير العرب وكلاء لا يقرءون ولا يكتبون وهم فى الغالب أكثر أمانة وصدقا.

٢- قالوا: إن محمدا رسول الله أخذ فكرة التوحيد من قراءته للتوراة والإنجيل:

ونرد على ذلك فيما يلى:

إنه يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد قد وصل إلى النبى محمد -صلى الله عليه وسلم- من مطالعته التوراة والإنجيل، إذ لو قرأ تلك الكتب لردها لاحتوائها على مذهب التثليث(٢)، وهو مناقض لفطرته صلى الله عليه وسلم، مخالف لوجدانه منذ خلقه، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر فى حياته وهو بذاته أكبر دليل على صدقه فى رسالته وأمانته فى نبوته صلى الله عليه وسلم.

---

(١) انظر المرجع السابق ص١٦.
(٢) المرجع السابق ص١٦ .

٣- الرد على النقد الموجه إلى صدق الرسول وسمو رسالته:

أما صدق الرسول وسمو رسالته فقد أخذ كثير من رجال الكنيسة ومن رجال الاستعمار يشككون فيهما رغم البيّن الواضح فى صدق الرسول وسمو رسالته.

وإلى هؤلاء وأولئك نقول:

«إن العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر آيات القرآن الكريم عن رجل أُمى، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بنى الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظا ومعنى[١]، آيات لما سمعها عتبة بن ربيعة -وهو وقومه مشهورون بالبلاغة- حار فى جمالها وكان يكفى رفيع عباراتها لإقناع عمر بن الخطاب فآمن برب قائلها، وفاضت عين نجاشى الحبشة بالدموع عندما تلا عليه جعفر بن أبى طالب سورة مريم وما جاء فيها فى ولادة يحيى بن زكريا.

«فلما كان اليوم الثانى طلب النجاشى جعفرا، وأشار إليه بتلاوة ما فى القرآن عن المسيح، ففعل، واستغرب الملك لما سمع أن المسيح عبدالله ورسوله، وروح منه، وما نزل فى أمه مريم وأعجب بهذه المعانى، وحمى المسلمين، ولم يسلمهم إلى رسل قريش ولم ينفهم من بلاده».

٤- الرد على فرية أن النبى صلى الله عليه وسلم كان مريضا بالصَّرَع:

أما هؤلاء الذين بلغ بهم التعسف مداه فظنوا أن الفترات التى يغيب فيها محمد عن هذا العالم ليكون بكليته مستغرقا فى الملأ الأعلى إنما هى فترات مَرَضية أو هى الصرع رغم تكذيب الطب لمزاعمهم مستندا إلى الاختلاف الكلى بين أعراض الصرع وأعراض الوحى فقد أعماهم التعصب عن رؤية الحقيقة.

إلى هؤلاء نقول:

منذ بداية نزول الوحى على النبى فى غار حراء أخذت شفتاه صلى الله عليه وسلم تنطق بألفاظ بعضها أشد قوة وأبعد مرمى من بعض والأفكار تتدفق من فمه على الدوام إلى أن يقف لسانه ولا يطيعه الصوت، ولا يجد

---

(١) وانظر المرجع السابق ص١٦.

من الألفاظ ما يعبر به عن فكر قد ارتفع عن مدارك الإنسان وسما عن أن يترجمه قلم أو لسان[1].

وكانت تلك الانفعالات تظهر على وجهه صلى الله عليه وسلم بادية فظن بعضهم أن به جنَّة، وهو رأى باطل، لأنه بدأ رسالته صلى الله عليه وسلم بعد أن بلغ الأربعين من عمره ولم يشاهد عليه قبل ذلك أى اعتلال فى الجسم أو اضطراب فى القوة المادية، وليس من الناس من عرف الناس جميعا أحواله فى حياته كلها مثل النبى صلى الله عليه وسلم، فلقد وصل الأمر بالمحدثين عنه إلى أنهم كانوا يعدون الشعر الأبيض فى لحيته ولو كان مريضا (كما يقولون) لما أخفى مرضه، لأن المرض فى مثل تلك الأحوال يعتبر أمرا سماويا بالنسبة لنا نحن العرب.

وليست حالة محمد صلى الله عليه وسلم فى انفعالاته وتأثراته بحالة ذى جنَّة بل كانت مثل التى قال سيدنا موسى عليه السلام فى وصفها: «لقد شَعرتُ بأن قلبى انكسر بين أضلعى وارتعشت منى العظام فصرت كالنشوان لما قام بى من الشعور عند سماع صوت الله وأقواله المقدسة».

٥- قالوا: إن دين الإسلام كذب وأن محمدا لم يكن على حق:

ونحن نسأل المتشككين فى الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم: هل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التى عاشت عليها هذه الملايين من الناس وماتت أكذوبة كاذب، أو خديعة مخادع؟ ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفا وعبثا وكان الأجدر بها ألا توجد!

ثم نطرح تساؤلا آخر فنقول: «هل رأيتم رجلا كاذبا، يستطيع أن يخلق دينا ويتعهده بالنشر بهذه الصورة»؟!

إن الحقيقة والتجربة تدلان على[2] :

أن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبنى بيتا من الطوب، لجهله بخصائص مواد البناء، وإذا بناه فما ذلك الذى يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد فما

---

(١) وانظر المرجع السابق ص١٧.
(٢) وانظر المرجع السابق ص٢٠.

بالك بالذى يبنى بيتا دعائمه هذه القرون العديدة وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس؟!

وعلى ذلك فمن الخطأ القول إن محمدا كان رجلا كاذبا متصنعا متذرعا بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع.. وما الرسالة التى أداها إلا الصدق والحق، وما كلمته إلا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول.. وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله.. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

٦- يزعم المتعصبون أن محمداً لم يكن يريد بدعوته غير الشهرة الشخصية والحياة والسلطان.

- وردنا على هؤلاء ببساطة [١]:

أن الدعوة إلى توحيد الله تبارك وتعالى انطلقت من عبدالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذى كان يتميز بأنه كبير النفس، مملوء رحمة وبرا وحنانا وخيرا ونورا وحكمة من أجل نشر أهداف سامية لخدمة الإنسانية ومحاولة تخفيف آلامها بالعودة إلى طريق الله الرحمن الرحيم.

٧- يزعم البعض أن الطمع وحب الدنيا هو الذى أقام محمدًا وآثاره:

وللرد على هؤلاء ومن حذا حذوهم نقول:

لم يكن محمد كغيره، يرضى بالأوضاع الكاذبة، ويسير تبعاً للاعتبارات الباطلة، ولم يتشح بالأكاذيب والأباطيل.

لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة، وبحقائق الكون والكائنات، لقد كان سر الوجود يسطع أمام عينيه بأهواله ومحاسنه ومخاوفه.

لقد كان زاهداً حقاً: فى مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه، وسائر أموره وأحواله، فكان طعامه، عادة، الخبز أو التمر والماء وكثيراً ما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار (أى أنه لم يطبخ شيئاً يتغذى به هو وزوجاته وأبناؤه)[٢]!

فهل بعد هذا مكرمة ومفخرة؟ فحبذا محمدا من رجل متقشف، خشن الملبس والمأكل، مجتهد فى الله، دائب فى نشر دين الله، غير طامح إلى ما يطمح إليه غيره فى رتبة أو دولة أو سلطان.

---

(١) انظر المرجع السابق ص٢٠.
(٢) المرجع السابق ص٢١.

ولو كان غير ذلك لما استطاع أن يلاقى من العرب الغلاظ القلوب. احتراماً وإجلالاً وإكباراً، ولما استطاع أن يقودهم ويعاشرهم معظم وقته، ثلاثا وعشرين حجة (عاماً)، وهم ملتفون حوله، يقاتلون بين يديه ويجاهدون معه..

لقد كان فى قلوب العرب جَفَاء وغِلْظة، وكان من الصعب قيادتهم وتوجيههم.

لهذا كان من يقدر على ترويضهم وتذليلهم بطلاً ومتميزاً بحق.

ولولا ما وجدوا فى محمد من آيات النُبل والفضل لما خضعوا لإرادته، ولما انقادوا لمشيئته.

وللحقيقة فإنه لو وُضِعَ قيصر بتاجه وصولجانه وسط هؤلاء القوم، بدل هذا النبى، لما استطاع قيصر أن يجبرهم على طاعته، كما استطاع هذا النبى فى ثوبه المرقع..!

٨ قالوا: إن الإسلام انتشر بحد السيف!

وللرد على هؤلاء نقول:

إن هذه الفرية عارية تماماً من الصحة أيضاً، فمن يقرأ تاريخ الدعوة الإسلامية وانتشار الإسلام فى ربوع الدنيا يلاحظ الآتى:

١. إن العرب المسلمين لم يستقروا زمناً طويلاً فى البلاد التى غزوها، إذ سرعان ما انفصلت عنهم بلاد فارس، ورغم ذلك ظلت على إسلامها، أما بالنسبة لمصر والعراق مهد أقدم الحضارات الإنسانية فقد انفصلتا عن الدولة الإسلامية أيضاً ولكن بقيتا على دين الإسلام، وكذلك الحال بالنسبة لدول شمال أفريقيا ابتداءً من ليبيا شرقاً حتى المغرب وموريتانيا غرباً بما فيها تونس والجزائر[1].



وفى هذا رد على من يزعمون أن الإسلام انتشر بحد السيف!

فلو كان الأمر كما قال البعض فى الماضى، ويقولون فى الحاضر لعادت تلك البلاد إلى دياناتها السابقة، بعد ترك العرب لها، وجلائهم عنها.

---

(١) انظر المرجع السابق ص١٢ وما بعدها.

٢ـ ليس هذا فقط، بل إن الإسلام ظل ينتشر على مدى القرون التالية، فهناك الملايين الذين دخلوا فى الإسلام طواعية واختياراً فى وسط افريقيا كما هو الحال فى نيجيريا وغيرها، وفى أواسط قارة آسيا كما هو الحال فى الباكستان وأندونيسيا بجزرها الكثيرة المتفرقة، وأيضاً البنجلاديش.

وفى شبه القارة الهندية انتشر الإسلام، وظل على خلاف مع الديانات الأخرى، السماوية منها: كاليهودية والمسيحية، وكذلك الأرضية منها كالبوذية والهندوكية.

٣ـ وفى العصر الحديث: دخل فى الإسلام أناس على مستوى عال من الفكر والثقافة، والنضج والتميز فى أوطانهم، مثل:

● «الفونس إيتين دينيه» الفرنسى، الذى اعتنق الإسلام وآلف كتاباً بعنوان «محمد رسول الله» نشره عام ١٩١٦م، وأورد فيه أسماء عدد من المفكرين والكتاب المرموقين الذين دخلوا فى الإسلام أو ظلوا على ديانتهم لكنهم دافعوا عن الإسلام منهم:

١ـ اللورد هيدلى الإنجليزى.

٢ـ المسيو رينيه جينو الفرنسى: الذى أسلم وأسمى نفسه الشيخ عبدالواحد يحيى.

٣ـ كار لايل: أحد كبار كتاب الإنجليز: الذى ألف كتاباً تحت عنوان «الأبطال» دافع فيه عن الإسلام.

٤ـ الكونت هنرى دى كاسترى.

وقد نما إلى علمى أن هناك إحصائية تقول: إن نسبة المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام بمحض إرادتهم تبلغ حوالى ٨٥٪ من عدد المسلمين فى العالم.

(المصدر: أحد البرامج الحوارية ـ المبثوث فى شهر يناير ٢٠٠٧ على قناة الناس الفضائية).

ـ بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م التى وقعت فى أمريكا تقول الأخبار: إن هناك مؤشرات تدل على زيادة عدد الداخلين فى الإسلام رغم أن المسلمين يمرون بفترة ضعف على المستوى العام.

- مما سبق يتضح ان الإسلام لم ينتشر بحد السيف كما يزعم البعض، وما كان يحدث ذلك لأن الله تبارك وتعالى يقول فى القرآن الكريم دستور الدعوة الإسلامية: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٦).

ويقول للنبى صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس: ٩٩)

- وفى العصر الحديث: مازال يعيش بيننا مفكر فرنسى كبير هو (روجيه جارودى) الذى أسلم وسمى نفسه (رجاء جارودى) منذ عدة سنوات فهل اعتنق، هذا الرجل، الإسلام خوفاً من سيوف المسلمين؟

الحقيقة والواقع لا يؤيدان ذلك.

٩- الرد على فرية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجلاً مزواجاً:

فى الحقيقة أن هذه الفرية عارية تماماً من الصحة، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظل مرتبطاً بزوجة واحدة فقط هى السيدة خديجة بنت خويلد زوجته الأولى، والتى تزوجها وعمره ٢٥ عاماً، وكانت هى قد بلغت الأربعين من عمرها.

ظل معها بمفردها حتى ماتت فى السنة العاشرة من البعثة، أى أنه صلى الله عليه وسلم ظل معها وحدها لمدة ٢٥ عاماً كاملة هى مرحلة الشباب والرجولة والنضج، لأنها توفيت وعمره صلى الله عليه وسلم ٥٠ عاماً، والعقل والمنطق، والطب، يقولون: إن هذه المرحلة العمرية، ما بين الخامسة والعشرين والخمسين، هى فترة الرغبة والصحة والشباب والقوة، والانجذاب إلى النساء.

أما بعد تلك السن، فإن الإنسان يميل إلى العزوف عن العلاقة الجنسية مع الطرف الآخر.

هذا بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم.

أما بالنسبة للسيدة خديجة، والتى تزوجت النبى صلى الله عليه وسلم وعمرها أربعون عاماً. وتوفيت وعمرها خمسة وستون عاماً، فقد كان محمد (صلى الله عليه وسلم) سعيداً معها، ورزقه الله منها بجميع أبنائه بنين وبنات (ما عدا إبراهيم الذى رزقه الله به من مارية القبطية).

رغم أن عطاءها الجسدى قل كثيراً أو توقف بعد أن بلغت الخمسين من عمرها أو حتى بعد الخامسة والخمسين على أكثر تقدير، حيث تتضاءل رغبة المرأة فى العلاقة الحميمية بالرجل بعد هذه السن.

أى أنه عندما كانت السيدة خديجة قد تضاءلت رغبتها فى العلاقة الحميمية، كان النبى صلى الله عليه وسلم فى سن الأربعين من عمره، أى فى عمر العطاء والرجولة بالنسبة للعلاقة الحميمية مع النساء هذا سبب أول..

أما السبب الثانى الذى يدحض فرية أنه صلى الله عليه وسلم كان مزواجاً، فإنه صلى الله عليه وسلم ظل مكتفياً بها وحدها حتى وفاتها فى السنة العاشرة من البعثة، رغم أنها توفيت فى عمر الخامسة والستين كما أوضحنا سالفاً، أى أنه قد عاش معها حوالى ١٠ سنوات فى شبه انعدام للعلاقة الحميمة بينهما.

ويرجع السبب فى ذلك إلى أنه (صلى الله عليه وسلم) أصبح مشغولاً بأمور الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وترك عبادة الأصنام، وفى نشر الإسلام بين قومه، ولم يفكر صلى الله عليه وسلم فى الزواج بأخرى بعد السيدة خديجة إلا بعد أن أصبح بيته صلى الله عليه وسلم فى حاجة ماسة إلى من يرعى شئونه وشئون أبنائه منها وهم:

١ـ زينب وهى كبرى بناته (تزوجها فى الجاهلية أبو العاص بن الربيع وأعقب منها أمامة).

٢، ٣ـ رقية وأم كلثوم: تزوجهما عثمان بن عفان حيث:

أـ تزوج رقية بمكة قبل الهجرة، وهاجر بها إلى الحبشة.

ب ـ ثم تزوج بأم كلثوم بالمدينة بعد أن ماتت أختها رقية.

٤ـ فاطمة: وهى صغرى بناته: تزوجها على بن أبى طالب بعد الهجرة إلى المدينة، بالإضافة إلى أولاده الذكور منها وهم: القاسم، وكان صلى الله عليه وسلم يكنى به فيقال له: (أبو القاسم) وعبدالله: الملقب بالطيب والطاهر.

وقد توفى الولدان صغاراً.

والخلاصة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بالأخريات إلا بعد وفاة السيدة خديجة، وبعد أن انشغل بالدعوة وحمل همها، وأصبحت تملك عليه كل فكره ووقته وجهده.

وقد تم زواجه صلى الله عليه وسلم بكل واحدة منهن ـ غير السيدة خديجة بطبيعة الحال ـ لسبب أو لآخر من الأسباب الآتية:

١ـ تدعيماً للدعوة، وتقوية لها، وتكريماً لبعض أصحابه مثل: زواجه (صلى الله عليه وسلم) من السيدة عائشة بنت صديقه، وساعده الأيمن أبو بكر الصديق.

وزواجه من السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب ساعده الأيسر، والرجل القوى المعروف فى مكة قبل وبعد دخوله فى الإسلام.

٢ـ تنفيذاً لأمر الله سبحانه وتعالى كما حدث فى زواجه من السيدة زينب بنت جحش التى زوجها لابنه بالتبنى، مولاه زيد بن حارثة... وذلك لإبطال عادة العرب فى ذلك الزمان، حيث كانوا يعتبرون الابن بالتبنى كالابن الحقيقى، فى كل شيء.. سواء بسواء.. وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ (سورة الأحزاب: ٣٧).

وهناك أمر مهم فى هذا الموضوع ينبغى مراعاته وهو: إذا كان العدد الذى سمح الله سبحانه وتعالى للنبى صلى الله عليه وسلم بالزواج به من النساء هو إحدى عشرة امرأة بينما المسموح به للمسلم العادى هو أربع نساء فقط.

وهو ما يظهر منه أن النبى صلى الله عليه وسلم قد وسَّعَ الله عز وجل عليه فى هذا الشأن حيث سمح له بالزواج بعدد أكثر من أربع. فالحقيقة ان الله سبحانه وتعالى لم يعاب رسوله صلى الله عليه وسلم، ويضيق على غيره، لكن الحقيقة عكس ذلك تماماً للأسباب الآتية:

١ـ إن الله تبارك وتعالى سمح لرسوله صلى الله عليه وسلم بالزواج من هؤلاء النسوة على وجه التحديد، بمعنى ان الإباحة فى الزواج كانت له صلى الله عليه وسلم فى المعدود، وليس فى العدد، أى أن الإباحة كانت له (صلى الله عليه وسلم) فى أشخاص هؤلاء النساء فقط دون غيرهن بحيث اذا ماتت واحدة منهن أو أكثر فليس مسموحاً له (صلى الله عليه وسلم) بأن يتزوج بغيرها، أو بغيرهن، بينما يحق لأى مسلم أن يتزوج ويحتفظ فى عصمته بأربع نساء فى وقت واحد، ولو أراد أن يتزوج بواحدة أو أكثر غيرهن، فإنه

يستطيع ذلك بشرط أن يُطلِّق واحدة أو أكثر من زوجاته الأربعة اللاتى فى عصمته.

أى انه يستطيع أن يتزوج من يشاء ثم يطلق من يشاء بشرط ألا يزيد عدد النساء فى عصمته على أربع. وفى هذا الشأن... يتضح لنا أن الله تبارك وتعالى قد ضيَّق على رسوله (صلى الله عليه وسلم) ومنعه من الزواج بغير من تزوج بهن فعلاً من النساء، فقال تعالى له صلى الله عليه وسلم بنص صريح فى القرآن الكريم: ﴿ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾. «سورة الأحزاب: ٥٢»

وفى هذا رد واضح على من يشيعون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مزواجاً.

وسنعرض فيما يلى لقصة زواج النبى صلى الله عليه وسلم بكل واحدة من زوجاته، وسوف يتضح من قصة زواجه «صلى الله عليه وسلم» بكل واحدة منهن الحكمة فى ذلك الزواج، وأهميته فى مسار الدعوة الإسلامية، وأنه «صلى الله عليه وسلم» كان يراعى مشاعر النساء كما يراعى مشاعر الرجال وأكثر.

بل إن مراعاته لمشاعر النساء لم تغب عنه صلى الله عليه وسلم طوال حياته، حتى فى حجة الوداع حيث نجده «صلى الله عليه وسلم» يوصى بالنساء خيراً حيث قال **«إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق، ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يُدْخِلن أحداً تكرهونه إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعضلوهن [1]، وتهجروهن فى المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوان[2]، ولا يملكن لأنفسهن شيئاً، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيراً، ألا هل بلغت اللهم أشهد[3].**

وإلى القارئ الكريم نعرض ـ بعون الله ـ فيما يلى قصص زواجه صلى الله

(١) العضل: هو الحبس والتضييق.
(٢)عوان: جمع عانية وهى الأسيرة.
(٣) السيرة لابن هشام: ٦٠٣/٢، وصحيح مسلم، باب حجة النبى صلى الله عليه وسلم ٣٩٧/١.

عليه وسلم من بعض أمهات المؤمنين غير السيدة خديجة رضى الله عنها، وذلك على النحو التالى:

١ـ زواجه صلى الله عليه وسلم من سودة «أرملة»:

هى أول امرأة تزوجها بعد وفاة السيدة خديجة، فقد عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم على السيدة سودة بنت زمعة العامرية القرشية فى شهر شوال من السنة العاشرة من النبوة، وهو الشهر نفسه الذى توفيت فيه السيدة خديجة[١].

وكانت قد أسلمت قديماً، وهاجرت مع زوجها فى الهجرة الثانية إلى الحبشة، وكان زوجها وابن عمها السكران بن عمرو قد أسلم وهاجر معها، فمات بأرض الحبشة، أو بعد الرجوع إلى مكة، فلما حلت خطبتها، خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها، تطييباً لخاطرها، وتعويضاً لها عن زوجها الذى أسلم وهاجر بها إلى الحبشة، وقد وهبت هذه السيدة الفاضلة نوبتها «ليلتها» للسيدة عائشة رضى الله عنها ـ بعد زواج النبى صلى الله عليه وسلم من السيدة عائشة الشابة الصغيرة البكر.

ويتضح من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج بالسيدة سودة للأسباب الآتية:

أ ـ تعويضاً لها عن زوجها الذى توفى أثناء هجرته معها إلى الحبشة أو بعد عودته وهى معه إلى مكة «فى قول آخر».

ب ـ حماية لها من أهلها حيث إنها كانت قد آمنت بالله وبرسوله، وخالفت أقاربها وبنى عمها، فلم يكن ثمَّ أجمل مما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوج رجل آمن به، ولو تركت لقومها مع ما هم عليه من الغلظة وكراهة الإسلام لفتنوها، هذا بالإضافة إلى أن كرم نسبها فى قومها يمنعها من التزوج برجل أقل منها نسباً وشرفاً.

---

(١) انظر كتاب «نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين» للشيخ محمد الخضرى، والذى خرج أحاديثه خالد بن محمد بن عثمان ـ الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ (٢٠٠٢م) مكتبة الصفا- القاهرة ص٥٤، وكتاب «الرحيق المختوم» لصفى الرحمن المباركفورى الطبعة الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة بجمهورية مصر العربية ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م) ص١٤٠.

جـ ـ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى حاجة ماسة إلى زوجة ترعى بيته وأبناءه من السيدة خديجة رضى الله عنها بعد وفاتها.

٢ـ زواجه صلى الله عليه وسلم من السيدة عائشة:

هى السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق، عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، بعد زواجه من السيدة سودة بشهر، وكانت السيدة عائشة بنت ست سنين أو سبع سنين، وتزوجها فى المدينة وهى بنت تسع سنين[١] ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكراً غيرها، زوجه إياها أبوها أبوبكر الصديق صديقه، وساعده الأيمن فى نشر الدعوة، وقد أصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم. ويتضح من ذلك أن هذا الزواج كان فيه مصلحة للدعوة الإسلامية، خاصة أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما دخل بها فى المدينة فى شوال من السنة الأولى من الهجرة، كان قد بلغ من العمر أربعة وخمسين عاماً، أى أنه كان قد تخطى مرحلة الشباب، ودخل فى مرحلة الكهولة، وفى هذا ما يوحى بأن هذا الزواج كان دافعه الأول هو تقوية الدعوة ونشر الإسلام.

٣ـ زواجه صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش «مطلقة»:

أعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه زيد بن حارثة وتبناه وسماه زيد بن محمد جرياً على عادة العرب يومئذ ثم زوجه زينب بنت جحش ابنة عمته أميمة بنت عبدالمطلب، وأصبح زيد كفرد من أفراد أسرة الرسول صلى الله عليه وسلم: يُعَامَل معاملة الابن الحقيقى جرياً على عادة العرب بالنسبة للمتبنى فى ذلك الزمان.

لم يكن الرسول يفكر فى الزواج بزينب، لا قبل زواجها من زيد، ولا بعد زواجها منه، وإلا فأى شىء كان يمنعه من التزوج بها بكراً غضة الإهاب، وقد كان يملك من أمرها كل شىء؟!

والحقيقة أن زواج زيد بزينب كان بوحى سماوى وأمر إلهى، لأنها وأهلها رفضوا تزويجها من زيد لأنه عبد محرر، وهى شريفة قرشية، ذلك لأن العرب تتعصب للأنساب، وتفتخر بالآباء والأجداد، ولذلك امتنعوا، ورأوا أن

---

(١) صحيح البخارى ٥٥١/١.

هذا الزواج عار عليهم، فنزلت الآية الكريمة: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً﴾. «سورة الأحزاب: ٣٦»

فامتثلت زينب وأهلها إلى أمر الله ورسوله فى هذا الزواج، إلا أنها كانت تشعر بأنها أفضل من زيد لأنها شريفة قرشية، بينما كان هو عبداً مملوكاً.

لذلك كانت تتكبر عليه وتنفر منه، فشكا ذلك منها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره النبى باحتمالها والصبر عليها، ولما ضاقت نفس زيد منها أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بالعزم على طلاقها رغم أن رسول الله كان ينصحه كثيراً بالصبر ويقول له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾»[1]. سورة الأحزاب: من الآية ٣٧»

وأخفى صلى الله عليه وسلم فى نفسه ما أبداه الله سبحانه وتعالى، فأنزل حكمه بإبطال هذه العادة، وهى تحريم زواج المتبنى زوجة من تبناه، وذلك بنص صريح فى سورة الأحزاب حيث قال عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾. «الأحزاب: الآية ٣٧»

ثم إن الله سبحانه وتعالى حَرَّم التبنى على المسلمين لما فيه من الإضرار، وأنزل فى ذلك نصاً صريحاً حيث قال: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ (سورة الأحزاب: ٤، ٥).

(١) أخرجه الترمذى (ح ٣٢١٢) ، وأحمد فى مسنده (١٤٩/٣) عن طريق حماد بن زيد عن ثابت عن أنس مرفوعا به .

وكان زيد قد قضى من زينب وطراً، ولم يعد له بها من حاجة، ولم يعد يحتمل العيش معها فطلقها، ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بها، ولكن الرسول فى نفسه كان يخشى على ضعاف الإيمان سوء الظن، ومن الكفار الدعاية السيئة فنزلت عليه الآية الجامعة فى هذا الموضوع:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ «الأحزاب: آية ٣٧».

وتزوج الرسول «صلى الله عليه وسلم» بزينب تنفيذاً لأمر الله وقضائه المفروض، ولا دخل لأحد آخر فى تنفيذ هذا الزواج، لذلك كانت هى تفتخر بذلك وتقول لسائر الزوجات: «إن الله تولى إنكاحى».

الخلاصــــــة:

أن زواج النبى صلى الله عليه وسلم بالسيدة زينب بنت جحش كان بأمر الله تعالى لحكَم، منها إبطال عادة كانت منتشرة بين العرب فى ذلك الوقت وهى عادة التبنى وإعطاء الابن المتبنى حقوقاً مساوية للابن الحقيقى، وهو فكر غير سوى، يرفضه العقل والمنطق الطبيعى.

٤ـ زواجه صلى الله عليه وسلم من السيدة حفصة بنت عمر «أرملة»:

كانت حفصة بنت عمر بن الخطاب، قد ترملت باستشهاد زوجها خنيس. ورغب أبوها عمر فى تزويجها لأنها كانت شابة فى العشرين من عمرها، ورغبت هى أيضاً فى الزواج، لكن لم يتقدم أحد لخطبتها، نظراً لأنفتها وكبريائها، وعرض أبوها يدها على أبى بكر الصديق، فلم يرد، وفسر موقفه بعد ذلك، ثم عرض يدها على عثمان بن عفان فاعتذر، وغاظ عمر ما لحق بابنته من إهانة، وخاف عليها الوحدة خاصة وإنها كانت فى العشرين من عمرها، فشكا حاله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال النبى الكريم له:

إن حفصة سوف تتزوج بخير من عثمان، وإن عثمان سوف يتزوج بخير من حفصة.

وزوج النبى ابنته أم كلثوم لعثمان، بينما تزوج هو صلى الله عليه وسلم من حفصة المتكبرة إكراماً لأبيها عمر بن الخطاب.

ومن هذه القصة يتضح أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج من حفصة بنت عمر بن الخطاب إكراماً لوالدها ورحمة بها وحماية لشبابها، وفى ذلك تقوية للدعوة بإرضاء عمر بن الخطاب الذى كان سنداً قوياً للنبى صلى الله عليه وسلم وللدعوة.

٥- زواجه صلى الله عليه وسلم من صفية اليهودية:

هى صفية بنت حُيى بن أخطب كبير قبيلة بنى النضير اليهودية التى كانت تقيم فى خيبر، كان والدها أحد أكابر مجرمى معركة الأحزاب ضد النبى «صلى الله عليه وسلم» والمسلمين.

لما جُعلت فى السبايا بعد قتل زوجها كنانة بن أبى الحقيق، وقتل أبوها فى غزوة خيبر.

جاء دحية بن خليفة الكلبى، فقال: «يا نبى الله، أعطنى جارية من السَّبْى، فقال: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية بنت حيى، فجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبى الله، أعطيت دحية صفية بنت حيى سيدة قريظة وبنى النضير، لا تصلح إلا لك، قال صلى الله عليه وسلم: «ادعوه بها» فجاء دحية بها، فلما نظر النبى إليها قال له: «خذ جارية من السبى غيرها»، وعرض عليها النبى صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلمت، فأعتقها وتزوجها، وجعل عتقها صداقها[1].

من هذه القصة يتبين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج صفية بنت حيى بن أخطب اليهودية إكراماً لها عندما عرف أنها كانت سيدة قومها فهو صلى الله عليه وسلم الذى يقول: **«أكرموا عزيز قوم ذل».**

لقد عرض عليها الإسلام فأسلمت، وأعتقها وتزوجها، وأصبحت زوجته صلى الله عليه وسلم، وأما للمؤمنين، هكذا يعلمنا رسول الله

(١) صحيح البخارى ١/٥٤ .

صلى الله عليه وسلم كيف يكون احترام الإنسان لأخيه الإنسان فى أصعب المواقف.

وحتى عندما كانت زوجاته الأخريات صلى الله عليه وسلم يعيرنها بأنها يهودية، وشكت من ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم. فقال لها من قال لك ذلك فقولى له: إن أبى نبى، وعمى نبى، وزوجى نبى.

فقالت كيف يارسول الله؟ قال لها قولى: أبى موسى، وعمى هارون، وزوجى محمد صلى الله عليه وسلم.

٦- زواجه صلى الله عليه وسلم من ميمونة:

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث الهلالية التى كانت زوج أبى رهم بن عبدالعزى العامرى. وكانت أختها أم الفضل زوجة عمه العباس بن عبدالمطلب وهو أى «عمه» الذى زوجها من النبى صلى الله عليه وسلم بإذنها. وهى آخر نسائه زواجاً ولم يدخل بها إلا بعد الخروج من مكة حيث كان بسرف [1] وهى موقع قرب التنعيم.

---

(١) صحيح البخارى (ح٤٢٦١) من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما و (٤٢٥٩) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما (الإصابة ١٠٢١/٨) العطار (١٨).

دفاع الله عز وجل

عن رسوله ﷺ

عقوبة من يسيئون إلى رسول الله ﷺ

لقد استاء المسلمون كثيراً من قيام بعض الفنانين فى الدانمارك بنشر رسوم تسىء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى صحفهم، وتكرر نشر تلك الرسوم فى الدانمارك وبعض الدول الأخرى كألمانيا وإيطاليا وأمريكا.

ولهؤلاء وغيرهم نقول: «إن الله تبارك وتعالى سوف يدافع عن نبيه صلى الله عليه وسلم كما سبق أن دافع عنه عندما تعرض للإساءة من بعض الناس حال حياته صلى الله عليه وسلم فقد ثبت أن أبا لهب بن عبدالمطلب «عم النبي صلى الله عليه وسلم» وزوجته أم جميل أساءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدافع عنه مالك الملك عز وجل وسجل ذلك فى إحدى سور القرآن الكريم وهى «سورة المسد» حيث قال سبحانه وتعالى فيها: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**﴾ وفيها أن الله تبارك وتعالى قد حكم على أبى لهب وزوجه بدخول جهنم والخلود فيها عقاباً لهما على الإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد ظلا على كفرهما وعدم التصديق بالنبى والرسالة حتى ماتا وبذلك أصبحا من المخلدين فى النار.

ـ وقد ورد أن «عتبة بن أبى لهب» مر بالنبى صلى الله عليه وسلم [1] فبصق ناحيته، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «أكلك كلب من كلاب الله».

وقد حدث ذلك؛ ففى رحلة من رحلات الصيف إلى الشام التى كان يرسلها كبار القوم فى مكة وأثناء مبيت القافلة التى كان فيها عتبة أنزله القوم فى وسطهم، وأحاطوه بأمتعتهم لأنهم كانوا يخشون عليه ورغم ذلك دخل إليه

(١) محمد محمود عبدالعليم رئيس جماعة تلاوة القرآن الكريم ـ كتاب سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الناشر: شركة الشمرلى للطبع والنشر والأدوات الكتابية بالقاهرة، ص٨٤ وما بعدها.

أسد وهم نائمون، وأكله ولم يبق منه سوى جزء من رأسه فقد أصابته دعوة النبى صلى الله عليه وسلم قال أحد العارفين: «إنه لما دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكله كلب من كلاب الله كان أسداً، لإضافة اسم الجلالة «الله» إليه.

وخلاصة القول بالنسبة لعقاب من يسيئون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسوم وغيرها. فإننا على يقين من نزول عقاب الله بالمسيئين إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بالكيفية التى يريدها، وفى الوقت الذى يحدده هو جل جلاله إذا لم يتوبوا ويستغفروا ربهم.

لكن يجب علينا .. وعلى المسلمين فى كل مكان أن ندافع عن نبينا صلى الله عليه وسلم وأولى وسائل الدفاع تكون بتعريف الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته التى كلف بتبليغها للناس جميعاً رحمة بهم، وحباً لهم.. فقد قال الله تعالى له: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، ثم دعوة الناس جميعاً إلى إعمال العقل، والاطلاع على القرآن الكريم وسنة النبى صلى الله عليه وسلم وسوف يجدون فيهما «القرآن والسنة النبوية» ما يجعلهم يعرفون أنه رسول الله أرسله ربه هداية للبشر جميعاً.

وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم: «لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، كلكم لآدم وآدم من تراب».

كما يجب علينا نحن المسلمين أن نتمسك بأخلاق الإسلام فى كل ما يصدر عنا من أقوال وأفعال اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الحق تبارك وتعالى يقول لنا فى كتابه العزيز: «لكم فى رسول الله أسوة حسنة» أى أن النبى صلى الله عليه وسلم هو قدوتنا وأستاذنا ومعلمنا فيجب أن نقتدى به لأن ذلك هو طريق النجاة والفلاح فى الدنيا والآخرة.

وللأسف الشديد فقد كرر الرسامون الدانماركيون الذين أساءوا إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فى رسوماتهم التى نشروها فى صحفهم فى عام ٢٠٠٦.

كرروا نشر تلك الرسوم فى شهر فبراير ٢٠٠٨.

وإن دل ذلك على شىء فإنه يدل على أن الإساءة إلى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت ـ ومازالت ـ مقصودة ومتعمدة وليست مسألة فن أو إبداع كما يدعون.

على كل حال..

وكما قال الله عز وجل (إن الله يدافع عن الذين آمنوا).. لقد تصدى للرد على هؤلاء الرسامين الدانماركيين، ومن حذى حذوهم. الكثير من المسلمين والمسيحيين مسئولين وغير مسئولين.

ونشروا دفاعهم عن النبى محمد وغيره من النبيين صلوات الله تعالى وسلامه عليهم جميعاً.

نشروا ذلك على مواقع الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت).

ونورد فيما يلى أمثلة لتلك الرسائل وهى قليل من كثير.

لكننا نرجو من الرسامين الدانماركيين وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى عدم التمادى فى الاعتداء على المقدسات والرموز الدينية للجميع.

ونذكرهم برابطة الإخوة الإنسانية التى تجمع بين البشر جميعاً. ونذكرهم بقول القائل:

الدّين للديان جل جلاله

لو شاء ربك وحّد الأقوام

ولكنها مشيئة الله وحكمته العليا سبحانه وتعالى.

القرضاوي يدعو الأمة "للهدوء"

أيمن شوقي

دعا العلامة الدكتور يوسف القرضاوي الأمة الإسلامية إلى التزام الهدوء والتعقل في غضبها إزاء إعادة نشر الرسوم الدانماركية المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم؛ حتى لا تنشغل عن الاهتمام بقضاياها الأخرى "الإيجابية"، مطالبًا في الوقت نفسه الاتحاد الأوروبي بإصدار تشريع يجرم الإساءة للأديان.

وقال الشيخ القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في برنامج الشريعة والحياة الذي بثته قناة الجزيرة القطرية مساء الأحد:٢/٣/٢٠٠٨ «هذه إساءة بالغة لهذه الأمة واستهانة بها واستفزاز لمشاعرها، فأي فائدة ثقافية أو فنية أو أدبية من إعادة نشر تلك الرسوم تكسبها الدانمارك أو أي بلد من نشر صور هي عبارة عن سباب وقذف وشتائم لأعظم شخصية إنسانية».

وتابع مضيفًا: "كأنما هؤلاء الناس يستفزوننا لنغضب وتقوم المظاهرات، ومن حق أمتنا أن تغضب وقد غضبت من قبل، ولكننا في هذه المرة نقول للأمة الإسلامية اهدئي وقابلي هذا الأمر بعقلانية وحكمة وهدوء".

تشريع أوروبي

وردًا على سؤال بشأن تصاعد دعوات التهدئة حتى لا يتكرر ما حدثَ في

أزمة ٢٠٠٥ قال الشيخ القرضاوي: "نعم نؤيد ذلك من باب سد الذرائع، ومن باب شغل الأمة عن قضاياها الأخرى الإيجابية".

وشدّد رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين على ضرورة "أن يسلك المسلمون الوسائل السلمية والوسائل القانونية؛ لمحاكمة الذين يسيئون لديننا، وأن نسعى مع الساعين لإصدار تشريعات تدين مثل هذه الأعمال".

وطالب الاتحاد الأوروبي بإصدار تشريع يجرم الإساءة للأديان، قائلاً: "نحن ندين هذا الأمر، ونرجو من العقلاء في الاتحاد الأوروبي إصدار تشريع يدين هؤلاء، فقضية حرية التعبير شيء وأن تشتمني شيء آخر فكيف إذا شتمت رسولي".

وحذر الشيخ القرضاوي من أن إعادة نشر تلك الرسوم تغذي العنف والأعمال الإرهابية في العالم الإسلامي، واستطرد مضيفًا "أرجو من أوروبا أن تنظر في هذا الأمر نظرة عقلانية حكيمة؛ حتى لا يؤدى ذلك إلى مزيد من الصراع والعنف، فمثل هذه الاستفزازات تثير العنف بين الشباب الذين يغضبون ضد الإساءة لنبيهم".

وأعادت ١٧ صحيفة دانماركية الأربعاء ٢٠٠٨/٢/٢٧ نشر رسوم مسيئة للرسول كانت قد نشرتها صحيفة "يلاندز بوستن" الدانماركية في ٢٠٠٥، وأثار ذلك موجة احتجاج وغضبًا عارمًا في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وصلت إلى حد إحراق سفارات للدانمارك والنرويج، ومقاطعة المنتجات الدانماركية في بعض الدول الإسلامية.

وبررت الصحف إقدامها على ذلك بحجة التضامن مع مخطط أعلنت عنه السلطات الدانماركية لاغتيال أحد رسامي تلك الرسوم المسيئة.

دافع عن نبيك ﷺ

أدانت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي إعادة نشر سبع عشرة صحيفة دانماركية الرسوم المسيئة لخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم ، التي كانت نشرتها صحيفة يولاندس بوستن الدانماركية عام ٢٠٠٦م ، واستنكرت الرابطة والهيئات والمراكز الإسلامية التابعة لها في أنحاء العالم تكرار التطاول على الرسول صلى الله عليه وسلم والإساءة إليه وإلى رسالة الإسلام التي بعث بها رحمة للعالمين.

جاء ذلك في بيان أصدره الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الأمين العام للرابطة ، ورئيس البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة التابع للرابطة، وصف فيه إعادة نشر الرسوم المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم في عدد من الصحف الدانماركية بأنها إصرار على الإساءة إلى دين الله الخاتم ، وإلى نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه .

ونبه إلى أن هذا العمل يثير الكراهية والبغضاء بين البشر ، حيث يسيء إلى مسلمي العالم وهم مليار ونصف المليار من الناس، مبيناً أن الشعوب الإسلامية تتطلع إلى التواصل والتعاون والتعايش بين شعوب العالم وهي تحرص على الإسهام في تحقيق الأمن والسلام للبشرية، محذراً من نتائج الاعتداء على الدين الإسلامي وعلى مشاعر المسلمين الذين لا يقبلون الإساءة إلى دينهم وإلى نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال د. التركي : إن المراكز والهيئات الإسلامية التابعة للرابطة أعربت عن ألمها

العميق واستيائها الشديد لتكرار نشر الرسوم المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم .

مشيراً إلى أن هذا العمل يسيء إلى رسل الله الذين يؤمن المسلمون برسالاتهم ولا يفرقون بينهم ، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة:٢٨٥).

وقال د. التركي : إن رسالات الله سبحانه وتعالى وخاتمتها رسالة الإسلام حرمت الاستهزاء بالدين، كما شنعت على من يستهزئ بالأنبياء والمرسلين، وبينت عاقبة السوء التي كانت لهم بالمرصاد، واستشهد بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الأنعام:١٠) وبقوله سبحانه عن المستهزئين برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (التوبة:٦٥) موضحاً أن الله بالمرصاد لكل من يستهزئ بالرسل والأنبياء وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي خاطبه ربه بقوله : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (الحجر:٩٥).

وطالب د. التركي الجهات المسؤولة في الدانمارك باتخاذ الإجراءات التي توقف استمرار الإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعث لنشر الخير والبر والرحمة بين الناس ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ ، ولكل الأمم والشعوب : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ .

وحث المراكز والمنظمات الإسلامية والمسلمين في الدانمارك على ضبط النفس وممارسة الحوار العاقل المفيد مع غيرهم، وطالبهم بعدم الانجرار إلى المهاترات والمعارك الكلامية، مؤكداً على حرص الرابطة والبرنامج العالمي التابع لها للتعريف بنبي الرحمة متابعة هذا الموضوع بالتعاون مع المنظمات الإسلامية في العالم . وقال : إن على المسلمين ألا يدخلوا في دوامات ردود الأفعال الانفعالية ، مؤكداً أن رسالة الإسلام رسالة عالمية وإنسانية خالدة ، وقد تكفل الله بحفظها وذلك بحفظه لكتابه العظيم : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، وأضاف : إن علينا أن نجد في عرض مبادئ الإسلام وسماحته وعظمة تشريعه ، وبيان حقيقة شخصية النبي عليه الصلاة والسلام وأنه رحمة للعالمين، وأن نعمل من خلال برامج تحقق النصرة لخاتم الأنبياء الذي نصره الله في جميع الحوادث والملمات.

علي جمعة يدعو لتجاهل الرسوم المسيئة

محمد داوود (جدة)

علل أمين عام اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء علي محمد جمعة عدم إصدار اللجنة لأي بيان شجب أو استنكار لما قامت به بعض الصحف الدنماركية من إعادة نشر للرسوم المسيئة إلى أن الأزمات السابقة علمتنا أن لا فائدة من هذه البيانات وأن أبلغ رد على هؤلاء السفهاء هو التجاهل موضحاً أن تلك الحملات المنظمة تدل على تدني المستوى الأخلاقي لهؤلاء، وأهدافها ليست مجرد الإساءة بل إثارة المسلمين لتحقيق أهدافهم من خلال ردود أفعال بعض المسلمين العنيفة من فوضى وتشنجات وإحراق أعلام والتهجم على السفارات، وغيرها من الأمور التي سمحت لهؤلاء السفهاء بوصف المسلمين بالهمجيين وينعتون الإسلام بدين التطرف والإرهاب . ودعا جمعة أن يكون رد المسلمين على الرسوم بالتجاهل، وأن يكون أي تعامل مع تلك الرسوم وغيرها وأي إساءات من منطلق تعامل قدوتنا المصطفى عليه الصلاة والسلام مع كفار قريش عندما قابلوه بالسب واللعن حين قال عليه السلام لأصحابه: "يا عباد الله انظروا كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذمما وأنا محمد، ويلعنون مذمما وأنا محمد."

كما شدد على الاستمرار في الدعوة و العمل الجاد المنظم الذي يعكس فحوى رسالة الإسلام وأهدافه، موضحا بأن الإسلام قد انتشر بشكل كبير خلال السنتين الأخيرتين في أوروبا خاصة في الدانمارك التي يعتنق فيها الإسلام شهريا ثمانية مواطنين دانماركيين أصليين والفضل يعود في ذلك إلى الأزمات الماضية، كما أن معرض الكتاب الدانماركي الأخير سجل أعلى مبيعات للقرآن الكريم المترجم وأيضا الفضل في ذلك يعود إلى الأزمات نافيا في الوقت نفسه أن تكون كل الشعوب الأوروبية كارهة للإسلام. فهناك من هم معتدلون وهذه الفئة هي الجديرة بالدعوة والحوار ومن خلال هؤلاء فقط نستطيع الوصول إلى العقول المتطرفة و السفيهة.

محامي مصري يطالب السفارة الدانمركية بتعويض عن الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم

طالب "روفائيل بولس" الذي يترأس أحد مراكز حقوق الإنسان في مصر السفارة الدانمركية بتعويض ٢٥ مليون يورو عما لحقه من أضرار نفسية وأدبية بسبب نشر الرسوم المسيئة للرسول الكريم.

وذكرت صحيفة "الخليج" الإماراتية أن محكمة استئناف القاهرة قررت النظر بالقضية في جلسة تحدد لها يوم ٨ نيسان المقبل بعد انضمام ٧٠ محاميا وناشطا من منظمات حقوق الإنسان وعدد من الشخصيات العامة إلى "روفائيل بولس".

وأكدت الصحيفة أن "روفائيل" طالب السفارة الدانمركية في دعواه بتعويض لكل من شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي والبابا شنودة الثالث بصفتيهما الدينية، وبوصفهما يمثلان الديانتين الأكبر في العالم اليوم، مشيرا إلى أن نشر هذه الرسوم المسيئة لرسول الإسلام تمثل إهانة للمسلمين والأقباط ولأصحاب الديانات السماوية على حد سواء، مطالبا الحكومة الدانمركية بإصدار بيان اعتذار علني.

تجدر الإشارة إلى أنّ صحيفة "يولاندس بوستن" الدانمركية نشرت في ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥ مقالة في الصفحة الثالثة بعنوان "وجه محمد صلى الله علي وسلم"، ونشر مع المقال ١٢ رسماً من الرسوم في بعضها استهزاء وسخرية من النبي محمد صلى الله عليه وسلم فإحداها تظهر عمامته على أنها قنبلة بفتيل، وقد حاولت الجالية الإسلامية وقف الصور لكن الصحيفة رفضت وكذلك الحكومة أيدت الصحيفة بحجة حرية الرأي والتعبير، فقامت الجالية الإسلامية بتنظيم حملة وجولة في العالم الإسلامي للدفاع عن النبي محمد صلى الله علي وسلم. وكانت الرسوم مصاحبة لمقال عن المراقبة الذاتية وحرية التعبير بقلم "كاره بلوتجين".

دانمركيون يعتنقون الإسلام

دخل في الإسلام يوم الخميس ٢٠٠٨/٣/٦ شاب دانماركى فى مسجد الأخوة والمساواة في مدينة أورهوس.

وكان هذا الشاب الذي أسلم - واسمه مارتن - قد زار المسجد عدة مرات،حضر خلالها خطب الجمعة، وكان يسأل عن معنى وتفاصيل الخطب التي كان يسمعها بعد كل صلاة، وقد بدأ اهتمام مارتن بالإسلام إثر أزمة الرسوم المسيئة التي تسببت فيها جريدة يولاند بوستن الدانمركية.

وقد عبر مارتن عن شعوره بالارتياح بين المسلمين منذ أول لحظة دخل فيها المسجد، وقال :

إن المعلومات التي كانت تصله عن طريق الإعلام الدانمركي فيها مغالطات كبيرة ومخالفة تماما لما رآه من طيبة المسلمين وانفتاحهم على الناس.

وقال مارتن لمراسل اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية :

" لقد كنت أدرس النانو تكنولوجيا بحثا عن الحياة الأبدية ، وعندما علمت أن هناك إلها أوجد هذا الكون توقفت عن الدراسة وبحثت عن الحقيقة في الإسلام ، والآن بعد أن أسلمت سوف أنظر فيما سوف أخطط له لمستقبلي كمسلم ".

وقد تم إسلام الأخ مارتن يوم الخميس ٢٠٠٨/٣/٦ قبيل صلاة المغرب بعد أن اغتسل في المسجد وبدأ بالفعل المحافظة على صلاة الجماعة منذ أول يوم.

وكان الأخ مارتن قد أشهر إسلامه بحضور الأئمة الفضلاء :

الشيخ أبي بلال إسماعيل والشيخ أبي خالد عدوان وعدد من رواد المسجد.

وبعد إسلامه أجرى الأخ مارتن اتصالاً هاتفيا مع "صديقته " ، وأخبرها بما

كان منه ودعاها إلى الإسلام فأبت ، وما دفعه إلى إخبارها بأنه قد تخلى عنها مباشرة ، لأن الإسلام لا يسمح له ببناء علاقات منافية للدين.

وأخبر مارتن من حوله بأنه سوف يحج عامه هذا ، وأنه سيبحث عن فتاة مسلمة ليتزوج منها.

وقد قامت إدارة المسجد بتوزيع الحلوى والعصائر احتفالا بإسلام الأخ مارتن وتخلل الحفل كلمة ألقاها الإمام أبو خالد عدوان ، مثنيا على جهود رواد المسجد وحسن خلقهم وتصرفهم مع الناس ، وحثهم على الاستمرار في نشاطات الدعوة إلى الإسلام.

دفعتها الرسوم المسيئة والضجة المثارة حولها للتعرف على الإسلام ونبيه

كاتبة دانماركية تحكي قصة إسلامها وأداء فريضة الحج في كتاب جديد

كوبنهاجن: عصام واحدي

الكتاب: الحج في مكة

المؤلف: نينا راسموسن

الناشر : ISBN - 2008

لن تعرف معنىً للإيمان ولا لذة فيه دون أن تتعلم أصول الإسلام وتؤمن بما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتشهد بذلك وكأنك ترى بأم عينيك وتسمع بأذنيك وتحس بقلبك وتتحرك كل خلية من جسدك إيماناً وتصديقاً عندها تشعر بلذة الإيمان والعبودية لله وحده عز وجل. ولكي يكتمل شعورك بهذا كله عليك أن تذهب إلى المكان الذي أنزل فيه الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم والمكان الذي هاجر منه والذي جاهد فيه وهاجر إليه لكي ترى تلك المناطق عليك بالحج ولكي تحج يجب أن تكون مسلماً فإن مكة محرمة على غير المسلمين.

الكاتبة (نينا) بعد أن سمعت عن الإسلام في أعقاب نشر الرسوم الكاريكاتيرية في الدانمارك وسخريتها من شخصية الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) دفعها فضولها للتعرف على الإسلام ولماذا كل هذه الضجة التي أقامها المسلمون دفاعاً عن نبيهم وتخوف العالم كله من غضبهم وما هو

الدافع الحقيقي وراء حبهم له ودفاعهم عنه، وأخذها فضولها إلى أن تتعرف على الإسلام بحقيقته على يد إحدى الأخوات وسرعان ما نطقت بالشهادتين ودخلت الإسلام لأنها شعرت بأن شيئاً ما قد دخل قلبها ولم تعلم ما هو ولكنها أدركت لاحقاً أنه الإيمان وأضافت اسما إلى اسمها (عائشة) تيمناً بأم المؤمنين السيدة (عائشة) رضي الله عنها وأرضاها.

وسرعان ما حزمت حقائبها راحلة إلى مكة شوقاً وحباً للمكان وتلبية لدعوة ربها ولترى بأم عينها مكة أم القرى، المدينة التي ولد فيها الرسول الكريم والتي عاش فيها غالبية عمره يدعو الناس للإسلام والإيمان بالله وحده وخرج منها مهاجراً تاركاً أحبابه وأهليه وبيته وعشيرته.

أرادت الكاتبة (نينا/عائشة) أن تكون هناك وتتحسس لذة الإيمان وتشارك المسلمين الذين أصبحت منهم جهد الحج ومصاعبه ولذة الإيمان والعودة لخالقها بعد أن كانت لا تعي شيئاً عن حياتها ووجودها في هذا العالم وما إن وصلت إلى مطار جدة حتى شعرت بفرحة كبيرة وأنها قد اقتربت من الشعور بالفرحة واللذة التي تنشدها وتقول:إنها فرحة لن أنساها ما حييت عندما وطأت قدمي لأول مرة مطار جدة متجهة إلى مكة ورأيت الناس يلبسون لباساً واحداً وألوانهم شتى وشعرت بفرحة تغمرني وأنا قد أصبحت واحدة منهم والكل فرح ويبتسم ويسلم ويسرع الخطوات للحاق بركب القوافل التي ستقل الناس إلى مكة المكرمة.

وفي الطريق كنت أرقب كل شيء وأتحسس ما أرى من مناظر خلابة صحراوية تكاد تخلو من كل شيء وجبال صماء وكأنها ترقب كل الداخلين إلى مكة وبدا لي أن الوقت يمر ببطء شديد لتلهفي وشوقي لرؤية الكعبة والسجود لأول مرة في حياتي على أرضها وفي فنائها لله تعالى حباً وخوفاً ويقيناً وما إن قال السائق إننا شارفنا الدخول إلى مكة حتى انفرط قلبي شوقاً وعيني بدأت تنهمر دموعاً وأغرقت ثيابي ولم أتماسك للحظات حتى أن أختاً لنا أمسكت بي قائلة :تماسكي فأنت في بيت الرحمن. يا الله ما أجملها من مدينة وما أحسنها وأروعها وسبحان من خلقها ودعا الناس إليها من كل فج عميق.

تقول الكاتبة: رغم معاناتي الشديدة في الحج وعدم معرفتي الكاملة

بالإسلام إلا أنني تغلبت عليها ولم أشعر بمشقته لعلمي الآن أنني فعلاً مسلمة مؤمنة أؤدي فريضة كبيرة منذ دخولي في الإسلام وأنني قد اغتسلت من الدنس القديم وبدأت حياة جديدة نظيفة تحت اسم الإسلام والله أكبر ولله الحمد.

رغم أن الكاتبة لم تتوسع في تفاصيل رحلتها إلا أنها كانت معبرة وصادقة خرجت من قلب مفعم بالإيمان وأرادت أن تكتب عن رحلتها ليست شهرة بل لكي يقرأها الدنماركيون وربما يشرح الله صدورهم للإيمان وتكون سبباً في ذلك، والكتاب بيع بشكل جيد في الدانمارك وما زال يطلب في ظل الأوضاع الراهنة التي تعيشها على خلفية نشر الرسوم مرة ثانية.

التحليل النفسي للرسوم المسيئة للرسول ﷺ

د. رامز طــه

استشاري الطب النفسي

أثار موضوع نشر الرسوم المسيئة للرسول الكريم في عدد من الصحف والمجلات الأوربية طوفانا من الغضب والاشمئزاز بين ملايين المسلمين ، وقد بدأت هذه الحملة العدائية في صحيفة مجهولة في الدنمارك ثم أعيد النشر بل وأضيفت رسوم أخرى بذيئة في صحف النرويج والنمسا وفرنسا وألمانيا، وأيضا في عدد غير قليل من مواقع الإنترنت الأوربية .

إن أكذوبة حرية التعبير كشفتها هذه الدراسة لتحليل رسوم هؤلاء الرسامين والتي يظهر ضعف مستواها الفني أيضا وركاكتها من اللمحة الأولى وأنها نتاج مجموعة من الهواة الذين أسقطوا انفعالات مريضة وأفكارا مشوهة يمكن تصنيف الكثير منها تحت ما يسمى بالأدب المكشوف أو التصوير الفاضح الذي يصنف ضمن الاضطرابات النفسية التي تصل في بعض الحالات إلى حد كتابة ألفاظ نابية بذيئة على الحوائط في الخفاء تعبيرا لاشعوريا عن الانحراف النفسي والجنسي ، ويشعر هؤلاء بنشوة ولذة عندما يرى الآخرون هذه الرسوم والتعليقات النابية البذيئة أو الرسوم المستفزة المثيرة . .

ورغم أنني طبيب إلا أنني أهتم بتحليل الشخصية ودراستها وعلاج مشكلاتها ليس بالدواء فقط بل بكل وسائل التشخيص والعلاج النفسية من

خلال كل وسائل التعبير اللفظية وغير اللفظية خاصة الرسوم ، ولقد تضمنت رسالتي في الماجستير ودكتوراة الطب النفسي فصولا في تحليل واستخدام تلك الرسوم والصور كأساليب مساعدة في التشخيص والعلاج ، وعندما أثير موضوع هذه الصور البذيئة قررت إجراء هذه الدراسة التحليلية لكشف دوافع وتفسير دلالات ما جاء في هذه الرسوم ، ولقد أدهشني ما توصلت إليه من نتائج بوجود دلالات لنزعات عدوانية وتعصب وإسقاطات جنسية تصل إلى حد الانشغال الزائد بالجنس ، بل وإلى حد الهوس الجنسي في بعض تلك الرسوم ، كذلك اكتشفت وجود دلالات تشير إلى الاغتراب وأخطاء في التفكير والاعتقاد كالمبالغة والتعميم والتصلب والجمود .. وغيرها .

وأعتقد أن هذه الدراسة بمنهج ولغة الغرب حيث إن الاحتجاج والغضب لا يكفيان لمخاطبة العقل الغربي ، بل لابد من أبحاث ودراسات منضبطة وفق منهج علمي متطور يكشف العلل ويشخص الداء ويصف العلاج والدواء ، كما يجب علينا التعريف العلمي بالأعجاز السلوكي الذي قدمه الرسول صلى الله عليه وسلم للبشرية نصوصا وتطبيقات عملية تتفق مع أحدث معطيات أبحاث علم النفس السلوكي وأساليب تعديل التفكير والسلوك وهى دراسة أخرى نشرتها منذ عدة سنوات ونوقشت في مؤتمرات علمية متعددة.

وسوف أنشر نتائج التحليل النفسي لهذه الرسوم تباعا ، مع تعريف بجوانب الإعجاز السلوكي في حياة الرسول الكريم في عدة مقالات ، ومن يرغب في المزيد أو الحصول على ترجمة باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية سيجدها على نفس موقعي الإلكتروني: www.rameztaha.net

وأتمنى أن يساهم من يطلع على هذا المقال و الدراسات المشار إليها بإعادة نشرها قدر ما يستطيع دفاعا عن الرسول الكريم ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾ .. كما يفضل أيضا أن يرسل المقال والترجمة إلى احدى الصحف أو المواقع الالكترونية خاصة في الدول التي صدرت منها هذه الرسوم المسيئة والى أي صديق له في الغرب تصحيحا لهذه الافتراءات والتشويه .

وبالطبع فلن أعيد نشر الرسوم التي تم تحليلها إجلالا واحتراما لشخص رسول الرحمة سيدالخلق محمد صلى الله عليه وسلم.

هذا المصطلح لم أقرأ عنه من قبل وقد استخدمته في دراستي هذه لأول مرة -على مسئوليتي - لأنني أعتقد أنه أفضل مصطلح يعبر عن حرق وكي مشاعر المسلمين بهذه الرسوم المسيئة للرسول، وبهذا الدرجة من الانتشار الوبائي التي تشير إلى انتقال الغرب من مرحلة الاسلاموفوبيا والتي تعنى الخوف من الإسلام إلى الاسلاموكوست Islamocaust والتي تعنى كي وحرق مشاعر المسلمين بهذه الحملة من الاستهزاء والسخرية والإهانة لأسمى رموز الإسلام والى رسول رب العالمين، وما يزيد من شدة وضراوة الألم انه لم يصدر من المسلمين مايشوه أو يسخر من أي عقيدة أو ديانة أو أي رسول من الرسل !!

ورغم ذلك فلا يجب أن نقع في خطأ التعميم لأننا ندرك أن الغرب فيه من يدرك سخافة وتفاهة ماحدث ويعارضه، ولكن في جميع الحالات تقع علينا مسئولية توصيل معلومات موضوعية تساعد على تصحيح صورة الإسلام الناتجة عن نقص المعلومات الصحيحة عن الرسول الكريم ورسالته السامية .

ولقد أكدت بحوث التعصب في أمريكا وأوروبا أن الاتجاهات العقلية السلبية والعدوانية والتصلب ضد الأقليات(والزنوج في أمريكا تحديدا) تقل كلما ازدادت المعلومات الموضوعية عن تلك الأقليات وسلوكياتها وعاداتها ومساهمتها في بناء الحضارة الإنسانية .

دلالات العدوانية والتعصب

الكاريكاتير أحد أنواع الرسم الحديث التي تعتمد على التحريف والمبالغة المقصودة للتعبير عن الأفكار والمفاهيم، وكذلك عن الدوافع والصراعات اللاشعورية، وهذه المبالغة هي التي تؤثر في المشاهد وتحرك خياله وتعطى للفكرة قوة تأثير عالية وتبرز المعاني وتغرسها في ذهن الفرد.

وقد وجدت الكثير من دلالات العدوانية والتعصب عند تحليل هذه الرسومات المسيئة و سأكتفي بالإشارة إلي بعضها كنماذج في هذا المقال لضيق المساحة، فعلى سبيل المثال أظهر كثير من هذه الرسوم المبالغة في حجم الرأس وتأكيد ملامح الوجه بصورة قبيحة ويعتبر هذا دلالة اهتمام

الرسـام بالمظاهر الخـارجيـة وانعكاسـاً لعدوان مكبوت يصاحبـه في الوقت نفسه اعتراف لاشعوري بقوة الشخص المرسوم ومكانته .

ظهر في رسوم أخرى عدم وجود الفم مطلقا رغم وجود باقي ملامح الوجه ويعتبر ذلك من الدلالات اللاشعورية على ميل الرسام لرفض الاستماع للآخر ربما هربا أو خوفا من قوة الحجة والاستمرار في إنكار الحقيقة التي جاء بها الرسول، كما قد تشير إلى العدوان السلبي بالترك، وقد يكون دلالة أيضا على تضخم الذات ورفض التواصل مع الآخر .

وفى أكثر من رسم أظهر الرسام الفم بخطوط بيضاوية أو منحنية مع إبراز الأسنان وتأكيدها مما يعتبر دلالة على الميول السادية والنزعات العدوانية للرسام أيضا، وفى رسوم أخرى تم رسم الفم بشفاه سميكة غليظة مما يعتبر إسقاطا لخبرات جنسية فميه للقائم بالرسم، ويؤكد ذلك أن بقية الملامح في تلك الرسوم لاتتسق مع هذه الشفاه الغليظة .

لقد رسم هؤلاء الرسامون أنفسهم وأسقطوا على الرسوم خبايا نفوسهم المريضة وليتهم قرءوا عن جمال وجهه الشريف وطهارة سلوكه العفيف.

الإعجاز السلوكي للرسول ﷺ

إن الرسول الكريم الذي أساءوا إليه هو الذي استطاع أن يعدل ويغير في السلوكيات والعادات السلبية الهدامة لمجتمع بأكمله خلال عدد محدود وقياسي من السنوات.. وهذه التغيرات ظلت ثابتة وباقية ومغروسة بعمق في عقل ووجدان الناس.. لذلك كانت بحق أكبر عملية تعديل للسلوك والعادات في تاريخ البشرية.. وهو ما عجزت عنه جميع الثورات والانقلابات بل جميع أساليب العلاج العلمية المعاصرة والمتقدمة في مجال السلوك الإنساني..

ولقد حيرني كثيرا لماذا لم نستفد من هذا المنهج وندرسه ونقارنه بمعطيات العلوم السلوكية والنفسية وأبحاث الأنثروبولوجيا والتربية والاجتماع الحديثة؟! .. ولماذا تركزت دراسات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة فقط على ما ورد في أبحاث و دراسات العلوم الطبيعية.. مثل الفلك والفيزياء وعلوم الفضاء وغيرها ؟! و أهملنا السلوك الإنساني والعادات التي كانت محور اهتمام الرسول الكريم والتي ستظل معجزة الإسلام في حياة البشر.

لقد استطاع الرسول -صلى الله عليه و سلم- تحويل القبائل المتناحرة

والجماعات الغوغائية التي تغير على بعضها البعض وتستحل الدم و الحرمات وتتفاخر بعدوانها و اغتصابها للحقوق.. إلى جماعات متضافرة تلتقي حول أهداف سامية و يحكم علاقاتها نظم و قواعد راقية ومشاعر الحب و العطف و الإحسان!. واستطاع أن يعدل في سلوكيات أفراد المجتمع وعاداتهم ! و غرس فيهم الحب و التعاطف والرفق والرحمة ! كما استطاع أن يعالج مشكلات مازالت تزلزل العديد من المجتمعات المتقدمة، مثل إدمان الخمر والقمار والانحرافات الجنسية وغيرها بصورة جماعية فريدة.

الرسول ﷺ هو رائد تعديل السلوك البشرى

لقد استخدم الرسول ﷺ عدة طرق يمكننا الاقتداء بها والاستفادة منها في هذا العصر للتعامل مع الآخرين لتقويم وتعديل سلوكهم ومساعدتهم على التخلص من العادات السلبية الهدامة .. ولقد وجدت أن كل هذه الطرق والأساليب التي اتبعها الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - تتفق مع أحدث الدراسات والأبحاث العلمية في هذا المجال الحيوي المهم .

أحد هذه الطرق هو أسلوب عرض النماذج السلوكية التطبيقية النمذجة - في مواقف حية Overt modeling، والتي تمثل أفضل أساليب التعلم وأكثرها تأثيراً، كما قدم بيانات عملية لتعديل السلوك وعلاج المشكلات وأسلوب التعامل الصحيح في كل موقف من المواقف المختلفة ، كما استعان بالتصوير والتجسيد و تنشيط المخيلة و القدرة على التوقع و التصور، واستخدم القصص و الأمثال و تجسيد المشاهد و تقديم البيانات اللفظية والعملية ليشرح المواقف التعليمية التي تسهل عمليات التعلم و تساعد الإنسان على تغيير تصرفاته بالتدريج . ولقد أتاح ذلك للمسلمين التعلم بالملاحظة والمحاكاة وغيرهما والتي تعتبر من أساليب التعلم وتعديل السلوك الفعالة والتي وردت في دراسات العديد من العلماء المعاصرين، وفي أبحاث أصحاب نظرية التعلم الاجتماعي Social (observational) learning ودراسات علوم النفس والسلوك وبيولوجيا الجهاز العصبي في الإنسان .

هذا جانب بسيط ولمحات سريعة من حياة الرسول الكريم لم يدركها كل من أقدم على هذا العمل الشائن وهذا هو جزء من الرد الذي نعتبره فريضة علينا جميعا ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾ .

الرسوم المسيئة.. والإساءات الممنهجة

محمد الغباشى

هكذا فعلتها الصحف الدانماركية الرخيصة من جديد، أعادت ١٧ صحيفة دانماركية نشر إحدى الصور المسيئة للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم، التي كانت قد نُشرت في العام ٢٠٠٦م وكان لها ردة فعل غاضبة على مستوى العالمَيْن العربي والإسلامي.

يتبين للمتأمّل في هذا الحدث المستفز، والذي علمَتْ ـ بل وتيقّنَتْ ـ الصحف الناشرة لمثل هذه الترهات، مدى تأثير مثل هذا الحدث في عواطف المسلمين العرب وغيرهم، ومدى فداحة الجرم الذي ارتكبته الصحف في حق نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، إلا أنها ـ وعلى الرغم من كل ذلك ـ تمادت في غيها الذي ارتكبته أولاً، وأعادت الكرّة تارة أخرى، لتثبت بغير مجال للشك، أن الأمر كان عن عمد في الأولى والآخرة.

ولتُسكت الأقلام المخدوعة، والأصوات الموهومة، التي ظنت أن المسيئين ـ أيًا كانوا، على اختلاف ألوانهم ومللهم ونحلهم ـ لا يعرفون الإسلام حق المعرفة، ولا يدرون عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم حق الدراية، إلا أن الواقع يشهد بضد ذلك تمامًا كما تثبته هذه الواقعة.

فلا يُظن في أحد الآن من أهل الدانمارك وما حولها من الدول ـ خاصة ـ أنه لم تتح لهم فرصة التعرف على محمد صلى الله عليه وسلم وأخلاقه

وحياته بعد الحملة التي قام بها الغيورون وقتذاك - وقت الإساءة الدانماركية الأولى - إلا أنهم وعلى الرغم من ذلك فعلوها ثانية، لترسخ في مفاهيمنا أنها لم تكن الأولى ولن تكون الأخيرة، فدلالات الأحداث كلها تشير إلى ذلك، وإليك طرفًا من هذا:

ولكن قبل البدء أود توضيح أمر من الأهمية بمكان، وهو أن الصحف التي قامت بنشر الرسوم أولاً، ثم إعادت نشرها مرة أخرى، صحف رخيصة، سواء على المستوى القيمي أو الإنساني، هي تتشدق بحرية التعبير، تملأ بها الدنيا ضجيجًا، إلا أنها أبعد المؤسسات عن مزاولة الحرية، فحرية التعبير هي نوع من الالتزام بالاحترام المتبادل بين الثقافات قبل أن تكون حقًا مكتسبًا في الإهانة والتشهير، وهنا مكمن دائها، إن حرية التعبير المزعومة ينتهي حدّها حينما يبتدئ حق الآخرين، وأعظم حقوق الآخرين هي احترام مقدساتهم الدينية على وجه الخصوص.

إساءات ممنهجة:

يأتي هذا الحدث في إطار منظومة محكمة الأطراف من الإساءات على المستويين الداخلي والخارجي، فالفترة السابقة متخمة بشتات متناثر من التجريحات والإساءات المتعمدة المدعومة داخليًا وخارجيًا من الحاقدين والخائفين في آن واحد: فالحاقدون المترصدون ينظرون إلى الإسلام - ذي الشأن - شاعرينً بالضآلة والقزامة، يفتشون في دواخل أنفسهم عن أسوأ التهم ويلصقونها به آملين أن تنزله من عليائه إلى مستواهم الدنيء حتى يتساوى الجميع في كفة واحدة.

والخائفون يخشونه وينظرون إليه على أنه العدو الحالي بعد اندثار الشيوعية وسقوطها في بداية طريقها في منتصف القرن الماضي؛ من أجل ذلك يدعمون تارة المعاهد البحثية التي تعهدت بالقيام بهذه المهمة بطريقة ممنهجة محكمة تدس السم في العسل، دون شعور من المخدوعين من أبناء هذا الدين، وتارة ثانية بإلقاء حفنة من الدولارات لبعض المتخبطين الذين يظهرون السب والشتم وإلصاق التهم بغير دليل من حس أو عقل، وتارة ثالثة يقوم بمثل هذه المهمة متطوعون مخدوعون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ولكنهم شُحنوا بشحنة عاطفية قوية تضاد الإسلام المخيف - على حد

اعتقادهم - فيظنون أنهم بذلك يقدمون خدمة لأوطانهم وبلادهم وأديانهم.

وفي الأسطر القليلة القادمة سنحاول أن نتحسس هذه المحاولات التي لن تكف عن الظهور متتالية في منظومة الإساءة داخليًا وخارجيًا..

أولاً: الحملة على الحجاب:

سارت الحملة على الحجاب في ركاب من التوظيف السياسي لمعاداة الإسلام في أوروبا، والتي لم يُكتفى بهـا بل تم تصديرها إلى العالم الإسلامي، ليقوم بالترويج لها من الدعاة إلى التغريب أمثال جمال البنا وغيره، وعلى أثر ذلك وضعت عدة دول أوروبية قيودًا - بمختلف درجاتها - على ارتداء المرأة المسلمة للحجاب، كما حدث في بريطانيا وفرنسا وألمانيا، إضافة إلى حظر لبس الحجاب في خمس مدارس هولندية، وتخيير امرأة بين الحجاب ووظيفتها كحارسة سجن في كندا، وحظر ارتداء الحجاب على الموظفات المسلمات في مدينة بلجيكية، مرورًا بتصريحات وزير الثقافة المصري عن الحجاب بأنه رجعية وعودة إلى الوراء، بالإضافة إلى التضييقات التي تحدث في تونس والمغرب على المحجبات في عملهن أو مزاولة أنشطتهن المختلفة... إلى غير ذلك من الأمثلة الشاهدة على استهداف الحجاب كقيمة إسلامية، سواء داخليًا أم خارجيًا.

ثانيًا: تكثيف النشاط التنصيري:

حيث اتسعت رقعة الحديث عن النصرانية وأنشطتها المشبوهة في وسائل الإعلام المختلفة، وتطاول بعضهم على القيم الإسلامية والثوابت الدينية، وانتشرت الشبكات التنصيرية المدعومة غربيًا والعاملة على مدى واسع في غالبية الدول العربية والإسلامية، ومنها العراق من خلال بعض الكنائس الأردنية، ومصر التي صرح بها الدكتور زغلول النجار بأن هناك أوكارًا يمارس فيها القساوسة عملية التنصير مستغلين فيها فقر الناس وبطالتهم، والأردن التي تم اكتشاف ٤٠ فرقة تنصيرية تعمل فيها بطريقة سرية تحت غطاء الجمعيات الخيرية، هذا بالإضافة إلى ما تمارسه الدول الغربية من تنصير لأعضاء الجاليات الإسلامية هناك.

ثالثاً: اعتداءات فردية:

لم يكتف المعتدون بالإساءات الممنهجة على مستوى الدول، وإنما عمدوا كذلك للإساءات على المستوى الفردي، فمن مثل ذلك ما قام به "جيرت فيلدرز"، النائب المتطرف في البرلمان الهولندي، وتصريحاته عن الإسلام بأنه دين العنف، متهماً الرسول الكريم بالتطرف، ثم مطالبته بحظر ارتداء المسلمات للنقاب، إضافة إلى تهجّم الصومالية المرتدة عن الإسلام "أيان هيرسي" على الدين، ووصفها له بالتخلف، ومطالبتها بالحرية الجنسية للمرأة، وكتابتها موضوع فيلم مسيء للإسلام تم نشره، وقُتل بعد ذلك مخرجه على يد أحد المسلمين.

أما في مصر فقد استعر أوار حملة مسعورة على صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى زوجاته، لا سيما السيدة عائشة رضي الله عنها، على صفحات الصحف وعلى المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت.

بالإضافة إلى الكتاب الذي صدر باسم "الجنس في حياة النبي" لكاتبة مصرية، تتناول فيه حياة النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الناحية وعلاقاته مع زوجاته بلهجة مستهجنة وقحة فيها من البذاءة ما فيها، والتي قرنت فيها بين وصف النبي صلى الله عليه وسلم في العنوان وبين كلمة "الجنس"، ما يوحي بسوء الأدب من الكاتبة، إضافة إلى الإيحاء بشغل الجنس لجانب كبير من عقل النبي صلى الله عليه وسلم- بحسب زعمها.

هذا غيض من فيض الاتهامات والإساءات التي ذاعت فيما بين الإساءة الأولى والإساءة الثانية من الصحف الدانماركية، والتي لا يتوقع لها أن تهدأ، بل على العكس، يراد لها أن تزيد ويستعر أوارها ، وما في جعبة الساحر لهو أكثر مما أماط عنه لثامه.

خطوات المواجهة:

أولاً: دور الحكومات:

يتجلى الدور المؤسسي في هذه المرة مهمًا أكثر من سابقتها، فإن افترضنا حسن النية في المرة الأولى وعدم معرفة الدانماركيين ومن حولهم بالنبي صلى الله عليه وسلم - وهو افتراض مستبعد - إلا أن هذه المرة كانت مقصودة

ومتعمداً فيها الاستفزاز والإساءة، فقد مرّ على الدانماركيين بركان الغضب الذي تفجّر في وجوههم في المرة الأولى، واتجهت جهود الدعاة إلى هناك يعرّفونهم بالمساء إليه لإزالة الجهالة المدّعاة، إلا أن الأمر عاد بأشد مما كان.

فعلى الحكام والمؤسسات المجتمعية بمختلف أطيافها أن تتخذ موقفًا يرضي مجتمعاتها ويكون على مستوى الحدث، وهذا هو أهم دور تُواجه به هذه الإساءة، فسحب السفراء، والمقاطعة الدبلوماسية ومقاطعة البضائع بقرار سياسي... كل تلك الأدوات لا تزال في مهمَلة جراب الحكومات.

ثانيًا: دور الشعوب:

لا نستطيع أن ننكر الدور البالغ للشعوب العربية والإسلامية في مواجهة التحديات التي تعتريها إزاء إهانة المقدسات والإساءة إليها، فهم وحدهم الذين يستطيعون تحريك حكامهم ومؤسساتهم المختلفة، إلا أن السلاح الأقوى في هذه المرحلة هو سلاح مقاطعة المنتجات؛ تعبيرًا عن الغضب وعدم الرضا عما تنتهجه صحف بلادهم من سوء أدب وعنجهية، فالاستمرار في المقاطعة باب عظيم من أبواب الانتصار.

ثالثًا: دور العلماء:

"أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم"، إن ما ينقصنا هو زمام المبادرة، وعلماؤنا الأجلاء عليهم دور بأن يسفروا للعامة عن الوجه القبيح للغرب، وأن يقوموا بحملات توعية لكشف ستار المحاولات التغريبية لسلخ المسلمين عن دينهم بالإساءة إلى ثوابتهم ومعتقداتهم. هذا من جانب.

ومن جانب آخر فعلى الدعاة ألا يتوقفوا عن دعوة غير المسلمين في الغرب، ونشر سيرة النبي، صلى الله عليه وسلم، كلما سنحت الفرصة لذلك، وعليهم ألا يكتفوا برد الفعل تجاه الأحداث، وإنما عليهم أن يكونوا فاعلين، وهذا دورهم بجانب المؤسسات الدعوية العالمية.

القانونيون:

على رجال القانون المسلمين والمنظمات الإسلامية العالمية كمنظمة المؤتمر الإسلامي وغيرها . محاولة التوصل إلى قانون دولي يضفي القداسة

والاحترام على مقدسات المسلمين وعقائدهم، وهذا هو ما سعت إليه منظمة المؤتمر الإسلامي وقت الإساءة الأولى، إلا أن محاولاتهم قد باءت بالفشل، ولكن الفرصة هذه المرة أسنح، لانعدام وجود **الأعذار**.

وإذا كانت المقاطعة هى الحد الأدنى الممكن إذن المقاطعة دليل على أنى مازالت عندى بقية كرامة ومازال عندى بقية ضمير ومازلت أستطيع أن أقول لا لمن يهين مقدساتى ومازلت حيا أرزق .. وعجبى لمن لايقاطع.

يقول الله تبارك وتعالى ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ سورة التوبة.

وصف الله تعالى أخلاق النبى ﷺ وجمعها فى آية واحدة و قال ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾«٤سورة القلم» ،أما عن أفعال النبى الأخلاقية نبدأ **بخلق الإيثار:** كان النبى يخرج لصلاه الفجر كل ليلة وكانت المدينه شديدة البرودة فرأته أمرأة من الأنصار فصنعت للنبى عباءة (جلباب) من قطيفة و ذهبت اليه وقالت : هذة لك يا رسول الله ففرح بها النبى و لبسها النبى و خرج فرآه رجل من الأنصار فقال : ما أجمل هذة العباءة أكسينيها يا رسول الله ، فقال له النبى : نعم أكسك إياها وأعطاها النبى لهذا الرجل .

٢- بعد غزوة حنين كان نصيب الرسول من الغنائم كثيراً جداً لدرجة ان الأغنام كانت تملأ منطقة بين جبلين ، فجاء رجل من الكفار و نظر إلى الغنائم و قال : ما هذا ؟ (يتعجب من كثرة الغنائم) ، فقال له رسول الله : أتعجبك ؟ فقال الرجل : نعم ، فقال الرسول : هى لك ، فقال له الرجل : يا محمد أتصدقنى ؟ ، فقال له الرسول : أتعجبك ؟ فقال الرجل نعم ، فقال الرسول : إذاً خذها فهى لك ، فأخذها الرجل و جرى مسرعاً لقومه يقول لهم : يا قوم : أسلموا ، جئتكم من عند خير الناس ، إن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفقر أبداً .

خلق الوفاء: كان فى مكة رجل أسمه ابو البخترى بن هشام و كان كافراً

ولكنه قطع الصحيفة التى كانت تنص على مقاطعة بنى هاشم و نقض العهد بينهم فقال الرسول للصحابة : من لقى منكم أبا البخترى بن هشام فى المعركة فلا يقتله وفاء له بما فعل يوم الصحيفة .

شهامة الرسول: كان هناك أعرابى أخذ أبو جهل منه أمواله فذهب هذا الأعرابى لسادة قريش يطلب منهم أمواله من ابو جهل فرفضوا، ثم قالوا له إذهب إلى هذا الرجل فإنه صديق ابو جهل وسيأتى لك بمالك و أشاروا على رسول الله إستهزاء به .. فذهب الرجل إلى النبى و قال : لى أموال عند ابى جهل و قد اشاروا على القوم أن أذهب إليك وأنت تأتى لى بأموالى، فقال الرسول : نعم أنا آتيك بها و ذهب الرسول معه إلى أبى جهل و قال له : أللرجل عندك أموال ؟ فقال ابو جهل : نعم ، فقال له النبى : أعطى الرجل ماله، فذهب أبو جهل مسرعاً خائفاً و جاء بالمال و أعطاه للرجل .

الفصل الرابع

آراء بعض المفكرين العالميين

فى رسول الله ﷺ

وفيما يلى عرض لآراء بعض الكتاب والمفكرين العالميين الذين درسوا القرآن وسيرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم، واقتنعوا بالدين الإسلامى، وبرسول الله صلى الله عليه وسلم، فدافعوا عنهما، فى كتاباتهم.. المسجلة والمنشورة على رءوس الإشهاد بلغات بلادهم الأصلية: الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرهما. ومن الطبيعى أن هؤلاء الكتاب والمفكرين يكتبون، ويعرضون آراءهم وأفكارهم ـ بالدرجة الأولى ـ على مواطنيهم ـ وهم فى الأغلب الأعم غير مسلمين.

لذلك فإننا نهيب بإخواننا أتباع الديانات الأخرى «غير المسلمين» فى كل مكان أن يطلعوا على ما كتبه هؤلاء المفكرون ويقيموه بالعقل والمنطق لعلهم يجدون فيها إجابة على تساؤلاتهم حول عقيدة الإسلام ونبيه محمد «صلى الله عليه وسلم».

وفيما يلى نبذة مختصرة من أفكار بعض المفكرين الغربيين فى هذا الشأن.

مايكل هارت:[1] أمريكى.

وهو عالم فلكى رياضى. يعمل فى هيئة الفضاء الأمريكية. ومتعته الأولى هى دراسة التاريخ.

هذا العالم ألف كتاباً بعنوان «المائة: تقويم لأعظم الناس أثراً فى التاريخ».

وكان أول الشخصيات التى تحدث عنها هو محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال:

(١) من كتاب «محمد صلى الله عليه وسلم» اعظم الخالدين .. تاليف مايكل هارت (أمريكى) ترجمه الى اللغة العربية أنيس منصور . ص٧ وما بعدها . الناشر : نهضة مصر ، الطبعة الخامسة الصادرة فى يونيو ٢٠٠٥ م

«اخترت محمداً صلى الله عليه وسلم فى أول هذه القائمة، ولابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار، ومعهم حق فى ذلك ولكن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الإنسان الوحيد فى التاريخ الذى نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الدينى والدنيوى».

فلقد استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم ـ لأول مرة فى التاريخ ـ أن يوحد بين العرب، سكان الجزيرة العربية، من بدو وحضر، وأن يملأهم بالإيمان، وأن يهديهم جميعاً بالدعوة إلى الإله الواحد. ولذلك استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية، فاتسعت الأرض تحت أقدام المسلمين من شمال شبه الجزيرة العربية، وشملت الامبراطورية الفارسية على عهد الساسانيين، وإلى الشمال الغربى، فاكتسحت بيزنطة والامبراطورية الرومانية الشرقية.

وكان العرب أقل بكثير جداً من كل هذه الدول التى غزوها وانتصروا عليها.

ولقد كان للإسلام تأثير عظيم على البدو الرحل وما جد عليهم بسبب إسلامهم، حتى بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، ففى عام ٦٤٢ من ميلاد السيد المسيح عليه السلام: انتزع العرب مصر من الامبراطورية البيزنطية، كما أن العرب سحقوا القوات الفارسية فى موقعة القادسية فى سنة ٦٣٧م، وفى موقعة نينوى فى سنة ٦٤٢م.

وهذه الانتصارات الساحقة التى تمت فى عهد الخليفتين أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب. لم تكن نهاية الزحف العربى والمد الإسلامى فى العالم.

ففى عام ٧١١م اكتسحت القوات الإسلامية شمال أفريقيا حتى المحيط الأطلسى، ثم اتجهت بعد ذلك إلى مضيق جبل طارق وعبرته إلى أسبانيا.

ولكن فى عام ٧٣٢م وفى موقعة تور بفرنسا، انهزمت الجيوش الإسلامية التى تقدمت إلى قلب فرنسا.

ورغم ذلك فقد استطاع هؤلاء البدو المؤمنون بالله وكتابه ورسوله أن يقيموا امبراطورية واسعة ممتدة من حدود الهند شرقاً حتى المحيط الأطلسى غرباً. وهى أعظم امبراطورية أقيمت فى التاريخ حتى اليوم. وفى كل مرة تكتسح هذه القوات بلداً فإنها تنشر الإسلام فيه بين الناس.

- الرد على من زعموا أن الإسلام انتشر بحد السيف:

وللرد على هؤلاء يقول مايكل هارت : إن العرب لم يستقروا زمناً طويلاً على الأرض التى غزوها. إذ سرعان ما انفصلت عنها بلاد فارس، وإن كانت قد ظلت على إسلامها.

أما مصر والعراق مهدا أقدم الحضارات الإنسانية فقد انفصلتا.. ولكن بقيتا على دين الإسلام.

وكذلك شمال أفريقيا ابتداء من ليبيا شرقاً حتى بلاد المغرب غرباً بما فيها تونس والجزائر.

وفى هذا رد على من يزعمون أن الإسلام انتشر بحد السيف؟

فلو كان الأمر كما قال البعض، فى الماضى وفى الحاضر، لعادت تلك البلاد إلى دياناتها السابقة، وتحللت من ربقة الإسلام، خصوصاً بعد ترك العرب لها وجلائهم عنها.

ليس هذا فقط بل إن الإسلام «وهو الديانة الجديدة التى دخلت تلك البلاد» ظل يتسع على مدى القرون التالية. فهناك الملايين الذين دخلوا فى الإسلام طواعية واختياراً فى وسط أفريقيا، وباكستان والهند فى أواسط قارة آسيا، وأكثر من ذلك فإن الإسلام قد وُجد واستقر فى أندونيسيا المتفرقة الجزر والديانات واللهجات، وفى شبه القارة الهندية انتشر الإسلام وظل على خلاف مع الديانات الأخرى السماوية منها كاليهودية والمسيحية، والأرضية منها كالبوذية والهندوكية.

وما كان الإسلام لينتشر بحد السيف، ولا بالإكراه لأن الله تبارك وتعالى يقول فى القرآن الكريم.. دستور الدعوة الإسلامية:

١- ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ «سورة البقرة: الآية ٢٥٦»

٢- ويقول أيضاً موجهاً الحديث للنبى صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ «سورة يونس: الآية ٩٩».

ويقول المؤلف:

وأخيراً ...

فقد كان للإسلام أثر عميق فى حياة المؤمنين به. وربما بدا شيئاً غريباً حقاً، وملفتاً للنظر، أن يكون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على رأس قائمة المائة الخالدين فى التاريخ رغم أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين، وربما بدا غريباً أيضاً أن يكون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو رقم واحد فى هذه القائمة، بينما عيسى عليه السلام هو رقم ٣ وموسى عليه السلام هو رقم ١٦.

«ولكن لذلك أسباب (على حد قوله): من بينها أن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم قد كان دوره أخطر وأعظم فى نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد شريعته أكثر مما كان لنبى الله عيسى عليه السلام فى الديانة المسيحية. وعلى الرغم من أن عيسى عليه السلام هو المسئول عن مبادئ الأخلاق فى المسيحية، غير أن القديس بولس هو الذى أرسى أصول الشريعة المسيحية، وهو أيضاً المسئول عن كتابة الكثير مما جاء فى كتب «العهد الجديد».

أما الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهو المسئول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام، وأصول الشريعة، والسلوك الاجتماعى والأخلاقى، وأصول المعاملات بين الناس فى حياتهم الدينية والدنيوية. كما أن القرآن الكريم قد نزل عليه وحده، وفى القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه فى دنياهم وآخرتهم.

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى أن:

القرآن الكريم نزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كاملاً، وسجلت آياته وهو ما يزال حياً. وكان تسجيله فى منتهى الدقة، فلم يتغير منه حرف واحد، وليس فى المسيحية شيء مثل ذلك فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق لتعاليم المسيحية يشبه القرآن الكريم. وكان أثر القرآن على الناس بالغ العمق.

ولذلك كان أثر محمد صلى الله عليه وسلم على الإسلام أكثر وأعمق من الأثر الذى تركه عيسى عليه السلام على الديانة المسيحية[1].

(١) انظر المرجع السابق، ص١٠.

فعلى المستوى الدينى كان أثر محمد صلى الله عليه وسلم قوياً فى تاريخ البشرية، وكذلك كان عيسى عليه السلام.

وكان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، على خلاف عيسى عليه السلام، رجلاً دنيوياً فكان زوجاً وأباً.

وكان يعمل فى التجارة ويرعى الغنم، وكان يحارب ويصاب فى الحروب ويمرض.. ثم مات».

ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم قوة جبارة، فيمكن أن يقال أيضاً: إنه أعظم زعيم سياسى عرفه التاريخ.

ويقول المؤلف[1] عن محمد صلى الله عليه وسلم «لم يعرف العالم كله رجلاً بهذه العظمة قبل ذلك. وما كان من الممكن أن تتحقق كل انتصارات المسلمين الباهرة بغير زعامته وهدايته وإيمان الجميع به».

ومن الدلائل الواضحة على تأثير الإسلام فى البلاد التى فتحها المسلمون، أن الغزوات العربية التى سادت القرن السابع الميلادى لايزال دورها عميقاً، وأثرها بليغاً فى تاريخ الإنسانية حتى يومنا هذا.

«فهذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذى جعلنى أومن بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو أعظم الشخصيات أثراً فى تاريخ الإنسانية كلها.

- ونحن نرى أن ما تم عرضه من أقوال المؤلف الأمريكى - مايكل هارت -

هو شهادة حق فى صالح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وصالح الدعوة الإسلامية، لأنها إثبات للحقيقة، واحترام للعقل، بعيداً عن الهوى، ووجهات النظر المتحيزة ضد الإسلام والمسلمين.

ونعرض فيما يلى لأدلة قوية، وواقعية أخرى تدحض دعوى وفرية أن الإسلام انتشر بالسيف.

وهى أدلة لأشخاص بلغوا من المستوى الثقافى والفكرى حداً كبيراً، وقد اقتنعوا بأن الدين الإسلامى هو الدين الحق.

---

(١) مؤلف كتاب (العظماء مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم) .. «المرجع السابق» ص١١ .

لقد وصلوا إلى هذه القناعة وهم فى سن النضج الثقافى والفكرى، وبعد أن وصل بعضهم إلى مواقع قيادية فى بلادهم.

ونذكر منهم على سبيل المثال ـ لا الحصر ـ بعض رجال الفكر والثقافة فى بلادهم وعلى المستوى العالمى. على النحو التالى:

١- اللورد هيدلى:[1] . «انجليزى»:

كان لإسلام اللورد هيدلى ضجة كبيرة، لمركزه الاجتماعى ولما يعلمه فيه عارفوه من نضج فى التفكير، وترو فى الأمور.

- كيف أسلم اللورد هيدلى؟

- ما هى العوامل التى دعته إلى اعتناق الإسلام؟

هو يقول:

«عندما كنت أقضى - أنا نفسى - الزمن الطويل من حياتى الأولى فى جو المسيحية، كنت أشعر دائماً أن الدين الإسلامى به الحُسْن، والسهولة، وأنه خلو من عقائد الرومان والبروتستانت....!

«ثبتنى فى هذا الاعتقاد زيارتى للشرق التى أعقبت ذلك، ودراستى القرآن المجيد..»

ثم يقول «فى المرجع نفسه»:

«يجب على أن اعترف أيضاً أن زيارتى للشرق ملأتنى احتراماً عظيماً للدين الإسلامى، الذى يجعل الإنسان يعبد الله حقيقة طول مدة حياته، لا فى أيام الآحاد فقط»!

ويرى اللورد هيدلى: أن الإسلام هو الدين العالمى حقاً، حيث يقول: «أيمكن إذن، أن يوجد دين يمكن العالم الإنسانى من أن يجمع أمره على عبادة الله الواحد الحقيقى، الذى هو فوق الجميع، وأمام الجميع، بطريقة سهلة خالية من الحشو»؟.

ثم يرد على المفترين على الإسلام بقوله:

«ليس فى وسع الإنسان، فى الحقيقة إلا أن يعتقد أن مدبجى وناسجى هذه

(١) من كتاب محمد رسول الله لـ«إيتين دينية» ، الترجمة العربية ص٢٣.

الافتراءات، لم يتعلموا، حتى ولا أولى مبادئ دينهم. وإلا لما استطاعوا أن ينشروا فى جميع أنحاء العالم، تقارير معروفاً لديهم أنها محض كذب واختلاق»[1].

ثم يقول:

«إن تعاليم القرآن الكريم قد نُفذت ومورست فى حياة محمد صلى الله عليه وسلم الذى - (سواء فى أيام تحمله الألم والاضطهاد، أو فى زمن انتصاره ونجاحه) - أظهر أشرف الصفات الخُلقية التى لا يتسنى لمخلوق آخر إظهارها.

ثم يقول عن محمد صلى الله عليه وسلم:

«محمد المثل الكامل.. ويقول أيضاً:

«نحن نعتبر أن نبى بلاد العرب الكريم، ذو أخلاق متينة، وشخصيته حقيقية، وُزنت واختبرت فى كل خطوة من خطى حياته، ولم ير فيها أقل نقص قط»[2].

ويستمر فى حديثه فيقول:

«وبما أننا فى احتياج إلى نموذج كامل يفى بحاجاتنا فى خطوات الحياة، فحياة النبى المقدس (يقصد محمد صلى الله عليه وسلم) تسد تلك الحاجة.

حياة محمد كمرآة أمامنا تعكس علينا التعقل الراقى، والسخاء والكرم، والشجاعة والإقدام، والصبر والحلم، والوداعة والعفو، وباقى الأخلاق الجوهرية التى تكون الإنسانية[3].

ثم يقول أخيراً:

«ونرى ذلك فيها بألوان وضاءة.. خذ أى وجه من وجوه الآداب وأنت تتأكد بأنك تجده موضحاً فى إحدى حوادث حياته.

«ومحمد صلى الله عليه وسلم وصل إلى أعظم قوة، وأتى إليه مقاوموه ووجدوا منه شفقة لا تجارى، وكان ذلك سبباً فى هدايتهم...!».

---

(١) المرجع السابق ص٢٥.
(١) المرجع السابق ص٢٦.
(٢ المرجع السابق ص٢٧.

وبعـــــــد...

فإن ما عرضناه من شهادة اللورد الإنجليزى هيدلى فى حق النبى محمد- صلى الله عليه وسلم- والقرآن الكريم هو قليل من كثير، وهو السبب الذى جعل اللورد يعتنق الإسلام.

ومن المعروف أن اللورد قرأ القرآن الكريم ودرسه، ودرس السنة النبوية المطهرة، ومسيرة الدعوة الإسلامية، وأخلاق المصطفى- صلى الله عليه وسلم، دراسة رجل ناضج مثقف ثقافة عالية، وهو ما جعله يقتنع باعتناق الإسلام، بل والدفاع عنه وعن رسول الله- صلى الله عليه وسلم.

وفى هذا رد عملى على كل من يدَّعون أن الإسلام انتشر بحد السيف!

٢- المفكر الفرنسى رينيه جينو «الشيخ عبدالواحد يحيى» (١)**:**

نشأ الرجل فى فرنسا من أسرة كاثوليكية، ثرية محافظة، نشأ مرهف الحس والشعور والوجدان، متجهًا بطبيعته إلى التفكير العميق، والأبحاث الدقيقة، وهاله، حينما نضج تفكيره، ما عليه قومه من ضلال، فأخذ يبحث، فى جد عن الحقيقة.

«أين الحقيقة؟ سؤال وجهه «رينيه جينو» إلى نفسه، كما فعل من قبله الإمام الغزالى، والإمام محيى الدين بن عربى، والإمام المحاسبى، وكما وجهه من قبلهم عشرات من المفكرين الذين أبو أن يستنيموا للتقليد الأعمى».

وتأتى فترة الشك والحيرة والألم الممض، ثم يأتى عون الله، وكان عونه عز وجل بالنسبة إلى «رينيه جينو»: أن بهرته أشعة الإسلام الخالدة، وغمره ضياؤه الباهر، فاعتنقه وتسمى باسم الشيخ عبدالواحد يحيى، وأصبح جنديًا من جنوده يدافع عنه، ويدعو إليه.

وكان سبب إسلامه بسيطًا ومنطقيًا فى آن واحد كما يقول إيتين دينيه «مولف الكتاب»: لقد أراد أن يعتصم بنص مقدس، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم يجد بعد دراسة عميقة- سوى القرآن، فهو الكتاب الوحيد الذى لم ينله التحريف ولا التبديل، لأن الله سبحانه وتعالى تكفل

(١) المرجع السابق. ص٢٧. وما بعدها.

بحفظه، وحفظه حقيقة كما قال فى القرآن نفسه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ «سورة الحجر: آية ٩».

ومؤلفات رينيه جينو الذى أصبح يعرف باسم الشيخ عبدالواحد يحيى كثيرة ومشهورة من بينها:

١- كتاب «أزمة العالم الحديث» الذى بين فيه الانحراف الذى تسير فيه أوروبا، والضلال الذى أعمى الغرب عن سواء السبيل.

٢- أما كتابه: «الشرق والغرب» فهو من الكتب الخالدة، التى تجعل كل شرقى يفخر بشرقيته، وقد رد فيه إلى الشرق اعتباره.

٣- ومن كتبه المهمة كتابه: «رمزية الصليب» الذى كتب فيه تفنيدًا للفرية التى تقول: أن الإسلام انتشر بالسيف.

وفى هذا ما يكفى للتوضيح لمن يقولون بتلك الفرية حتى الآن فى الغرب. وإننا نهيب بكل من لايزال يرددها أن يطلع على كتاب «رمزية الصليب» المشار إليه آنفًا.

٣- الدكتور جرينيه: «فرنسى» [١] :

قال الرحالة السيد محمود سالم، فى مقال له، نشر فى مجلة المنار، مجلد ١٤ ص٥١٨:

قصدت فى سياحاتى، مدينة «بونتارليه» لمقابلة الدكتور «جرينيه» المسلم الفرنساوى الشهير، الذى كان فى السابق عضوًا فى مجلس النواب. قابلته لأجل أن أسأله عن سبب إسلامه. فقال: «إنى تتبعت كل الآيات القرآنية فوجدتها تنطبق كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت لأنى تيقنت أن محمدًا- صلى الله عليه وسلم- أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة، من قبل أن يكون معلم أو مدرس من البشر.

ولو أن كل صاحب فن من الفنون، أو علم من العلوم، قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدًا، كما قارنت أنا (على حد قوله).. «لأسلم بلا شك، إن كان عاقلاً خاليًا من الأغراض».

---

(١) المرجع السابق.ص٣٠. وما بعدها.

٤- إيتين دينيه «ناصر الدين»: «فرنسى»

ولد «الفونس إيتين دينيـه» فى بارس ١٨٦١م، وعـاش- رحـمـه الله- فنانًا بطبعه، وقد اشترك مع سليمان بن إبراهيم من الجزائر، فى تأليف كتاب «محمد رسول الله» باللغة الفرنسية ونشراه ١٩١٦م.

قام بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية د. عبدالحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق، رحمه الله، ونجله د. محمد عميد كلية أصول الدين سابقًا، وذلك فى عام ١٩٦٥م.

وقامت دار المعارف- بمصر- بنشر الطبعة الثالثة المترجمة منه عام ١٩٨٦م.

ونطالع فى الترجمة العربية للكتاب- الطبعة الثالثة- ص ٣١ الإجابة عن السؤال الآتى:

لماذا أسلم «دينيه» مؤلف الكتاب؟ فيقول: ولنعد إلى «دينيه» فنتساءل:

كيف ولماذا أسلم؟ وما المميزات والخصائص التى جعلته يمنح الإسلام من الثقة ما لم يمنحه للمسيحية؟

لقد كانت الشكوك الكثيرة تدور فى نفسه، عندما وقعت فى يده نسخة من مجلة إنجليزية، فإذا به يجد فيها جوابًا عن أسئلته إذ قرأ فيها: لماذا صار بعض الإنجليز وغيرهم من الأوروبيين مسلمين؟ وكان الجواب:

«ذلك لأنهم كانوا يتلمسون عقيدة سهلة معقولة، عملية فى جوهرها- لأننا معاشر الإنجليز نتبجح بأننا أكثر أهل الأرض تشبثًا بالعمل.. يتلمسون عقيدة تكون ملائمة لأحوال جميع الشعوب وعاداتهم وأعمالهم، عقيدة دينية صحيحة يقف بها المخلوق أمام الخالق بدون أن يكون بينهما وسيط».

وبعد تفكير عميق، ودراسة متأنية للإسلام والمسيحية، اقتنع الرجل (دينيه) أن الإسلام بحق «هو العقيدة الدينية الصحيحة».

فاعتنقه، وأسمى نفسه «ناصر الدين» وكان فعلاً من جنود الإسلام المدافعين عنه بقلمه وريشته. والمسيو دينيه- «ناصر الدين» بعد إسلامه- من كبار أهل الفن ورجال التصوير، وصاحب اللوحات الكبيرة النفيسة القيمة. كتب هذا الكتاب «محمد رسول الله»، وزينه بعدد كبير من اللوحات القيمة

التى تمثل البيئة العربية الإسلامية، رسمها بريشته، لتشهد له بإخلاصه فى حب الشرق والدفاع عن الإسلام ونبى الإسلام محمد- صلى الله عليه وسلم- فجزاه الله خيرًا.

٥- المفكر وليم موير[١]:

«إن من صفات محمد الجديرة بالتنويه، الرأفة والاحترام اللذين كان يعامل بهما أصحابه، فإن التواضع وإنكار الذات، والرأفة، والأناة والسماحة، تغلغلت فى نفسه فأحبه كل من حوله، ولم يكن الإصلاح أعسر ولا أبعد منالاً منه عند ظهور محمد، ولا نعلم نجاحًا تم كالذى تركه عند وفاته».

٦- يقول الشاعر لا مارتين: «فرنسى»

«إن محمدًا هو أعظم رجل بكل المقاييس، التى وضعت لوزن العظمة الإنسانية، فإذا كان مقياس العظمة الإنسانية هو إصلاح شعب متدهور فمن الذى يطاول محمدًا فى هذا المضمار؟.

وإذا كان مقياس العظمة هو توحيد الإنسانية المفككة الأوصال، فإن محمدًا أجدر الناس بهذه العظمة، لأنه جمع شمل العرب بعد تفكك شامل، وإذا كان مقياس العظمة هو إقامة حكم السماء فى الأرض، فمن ذا الذى ينافس محمدًا الذى محا مظاهر الوثنية، وثبت عبادة الله وقوانينه فى عالم الوثنية والقوة»[٢].

٧- ويقول واشنجتون أرفنج:

«إن من أبرز صفات محمد تسامحه مع خصومه، ولسنا نعرف رجلاً فى التاريخ كمحمد فى هذا المضمار، لقد تسامح فى أوقات كان الزعماء فى أمثالها ينكلون بمن كانوا معارضين لهم تنكيلاً بشعًا، ولكن تسامح محمد مع خصومه، ومعارضيه، حقق له سيادة وتفوقًا على كل الزعماء عبر القرون»[٣]..

---

(١) من كتاب «محمد- صلى الله عليه وسلم- فى المدينة» للدكتور أحمد شلبى. القاهرة، ١٤١٥هـ (١٩٩٥م)، ص١١١، ١١٢، من كتاب تاريخ الإسلام فى عصر النبوة للدكتور عبدالشافى محمد عبداللطيف ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م) ص٣٧٠.

(٢) المرجع السابق ص٣٧٠.

(٣) المرجع السابق ص٣٧١.

٨- ويقول مونتغمرى وات: «إنجليزى»

المستشرق البريطانى المعاصر فى كتابه «محمد فى مكة» ص٥١٢ [١]:

كلما فكرنا فى تاريخ محمد- صلى الله عليه وسلم- وتاريخ أوائل الإسلام. تملكنا الذهول أمام عظمة مثل هذا العمل. ولا شك أن الظروف كانت مواتية لمحمد فأتاحت له فرصة للنجاح لم تتحها لسوى القليل من الرجال. غير أن الرجل كان على مستوى الظروف تمامًا. فلو لم يكن نبياً ورجل دولة وإدارة. ولو لم يضع ثقته بالله ويقتنع بشكل ثابت أن الله أرسله، لما كتب فصلاً مهما فى تاريخ الإنسانية، ولى أمل أن هذه الدراسة عن حياة محمد - صلى الله عليه وسلم- يمكنها أن تساعد على إثارة الاهتمام- من جديد- برجل هو أعظم رجال أبناء آدم.

٩- ويقول الدكتور نظمى لوقا (نصرانى من مصر ومعاصر)[٢]:

فى كتابه «محمد والرسالة»: كانت مهمة محمد- صلى الله عليه وسلم- هائلة، كانت مهمة ليس فى ميسور رجل تحدوه دوافع أنانية أن يرجو النجاح فى تحقيقها بمجهوده الشخصى. إن الإخلاص الذى تكشف عن محمد- صلى الله عليه وسلم- فى أداء رسالته، وما كان لأتباعه من إيمان كامل فيما أنزل عليه من وحى، واختبار الأجيال والقرون، كل أولئك يجعل من غير المعقول إتهام محمد- صلى الله عليه وسلم- بأى ضرب من الخداع المتعمد، ولم يعرف التاريخ أى تلفيق «دينى» متعمد استطاع أن يعمَّر طويلا. والإسلام لم يُعمّر حتى الآن ما ينوف على ألف وأربعمائة سنة وحسب، بل إنه لا يزال يكتسب فى كل عام أتباعاً جددًا، وصفحات التاريخ لا تقدم إلينا مثلاً واحدًا على محتال كان لرسالته الفضل فى خلق إمبراطورية من إمبراطوريات العالم، وحضارة من أكثر الحضارات نبلا.

فهل قنع الناس بأن محمدًا - صلى الله عليه وسلم- رسول البشرية جميعًا؟!.

---

(١) مجلة التوحيد: التى تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية، القاهرة، العدد ٤٢٣- السنة السادسة والثلاثون- ربيع الأول ١٤٢٨هـ- ص الغلاف من الداخل- كلمة التحرير.

(٢) مجلة التوحيد: التى تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة العدد ٤٢٤- السنة السادسة والثلاثون- ربيع الآخر ١٤٢٨هـ ص الغلاف من الداخل- كلمة التحرير.

بشارة
سيدنا محمد ﷺ
فى الكتب المقدسة
(التوراة والإنجيل)

بقلم : **جمال زكريا إبراهيم**

مقدمة

إن الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (المائدة:٨٢:٨٣).

والصلاة والسلام على رسولنا وقدوتنا إلى الخير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حجة الله على الناس أجمعين والمبشر به على لسان الأنبياء الأولين.

أما بعد

فإن أمتنا تعيش فى معترك مع الدعاة البغاة وتعبث فى أرضها الطاهرة أياد آثمة ظالمة.

وفى هذه المرحلة الحاسمة يجب أن يعرف المسلم كيف يمكنه إخماد وساوس الباطل، لصيانة التوحيد الذى نادى به كل أنبياء الله.

ولاشك أن المسلم الحق يمكنه إرشاد الحيارى والضالين إلى معالم طريق الهدى وبالله التوفيق.

ولذا فإننا نضع فى هذا الكتاب البشارة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى الكتب المقدسة عند النصارى واليهود.

وذلك لنزيل الغموض ونكشف دلائل الحق لكل مَنْ أصرَّ من الباغين الذين غشيت أبصارهم وصُمت آذانهم وأغلقت قلوبهم عن الحق. وهذا بلاغنا لكم.

اللهم قد بلغت .. اللهم فاشهد

مما لاشك فيه أن الإسلام أكثر الأديان انتشاراً فى العالم. ولاتزال أصوات الدعاة إلى الحق تتردد واعظة ناصحة لكل الأسماع فى أرجاء الكون أن أقبلوا على الله.

ولكن لا يزالون يفترون على دين الله الحق متمسكين بآثار الأولين ولو كانوا ضالين ومضلين.

وأسأل الله داعيًا أن يوفقنى فى سرد الحقائق من خلال تلك الصفحات بعنوان.. «محمد فى الكتب المقدسة» وقد وضعت مناظرة بينى وبين نفسى حول ما إذا كان محمد مذكوراً فى كتبهم أم لا..

وأتيت بالحقائق التى طمست معالم الباطل وأظهرت الحق لأقدم هذا الكتاب رداً على كل من أساء إلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى مولده الشريف والله أرجو أن يهدينا إلى الحق.

إثبات نبوة محمد ﷺ

إن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة بالدلائل القطعية اليقينية ولا يمكن أن يقدح فيها أحد إلا ظناً من النفوس الضالة.

وقد قيل لعبدالله بن عمرو:

أخبرنا ببعض صفة رسول الله فى التوراة. فقال: (إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن): «يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا» وحرزاً للأميين. أنت عبدى ورسولى.. سميتك المتوكل. لست بفظ ولا غليظ القلب ولا صخّاب بالأسواق ولا تجزى بالسيئة السيئة، ولكن تجزى بالسيئة الحسنة، وتعفو وتغفر ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء فأفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا بأن يقولوا لا إله إلا الله.

وجاء فى صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

أناجيلهم فى صدورهم فسمى الكتاب الذى يقرءونه وهو القرآن، بالأناجيل.

وقد ورد فى التوراة.

(عبدى الذى سُرت به نفسى أنزل عليه وحيى فيظهر فى الأمم عدلى ويوصيهم بالوصايا، لا يضحك ولا يُسمع صوته فى الأسواق يفتح العيون العور والآذان الصم ويحيى القلوب الغلف وما أعطيه لا أعطى أحدًا. يحمد الله حمداً جديداً).

«يأتى من أقصى الأرض وتفرح البرية وسكانها ويهللون الله على كل شرف ويكبرونه على كل رابية، لا يضعف ولا يغلب ولا يميل إلى الهوى مشفع

ولايذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة بل يقوى الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذى لا يطفىء أثر سلطانه على كتفيه».

وهذه الصفات لا تكون منطقية إلا إذا تحلى بها محمد (صلى الله عليه وسلم) وأمته وهى من أفضل بشارات الأنبياء؛ فمحمد صلى الله عليه وسلم ثبتت نبوته بنبوته.

وأيضاً ثبتت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم النبوات السابقة بعد إخبارنا بها فى القرآن الكريم.

وقد أكد ذلك الإمام المجدد شيخ الإسلام ابن القيم فى كتابه المسمى «هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى» تحت عنوان «اثنا عشر وجهاً تدل على أن محمداً صلى الله عليه وسلم مذكور فى الكتب المنزلة».

فقد ورد فى القول الثالث:

أن المؤمنين به من الأحبار والرهبان الذين آثروا الحق على الباطل صدقوه فى ذلك وشهدوا له بما قال.

وفى القول الرابع: إن المكذبين والجاحدين لنبوته صلى الله عليه وسلم لم يمكنهم إنكار البشارة وأنه نبى آخر.

وفى القول العاشر: أنه استشهد على صحة نبوته بعلماء أهل الكتاب.

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (الرعد/٤٣)

وقال تعالى: «الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين».

وقد ثبت بالدلائل القاطعة الواضحة أن كتبهم محرفة، فقد حرفوها وبدلوا فيها وكتموا الحق فوضعوا ما أرادوا وحذفوا ما شاءوا، فغيروا مواضع من التوراة والإنجيل.

وخلاصة القول:

ما من نبى إلا والله سبحانه وتعالى أخذ عليه الميثاق.. بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه:

كما ورد فى قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ «آل عمران - ٨١»

والحوار التالى يوضح مناظرة بينى وبين نفسى..

فبدأت حوارى بسؤال مباشر وواضح:

- ما الذى يقوله الكتاب المقدس عن محمد (صلى الله عليه وسلم)؟

فأجابتنى على عجل ودون أدنى تفكير: لا يقول شيئا.. لا شىء ولا موضع ذكر فيه بالكتاب المقدس.

فسألتها: لِمَ لاشىء وكيف تنكرين حقائق واردة بالكتاب المقدس.

هل لأنها حقيقة تخص محمداً (صلى الله عليه وسلم) أم أنك لم تصيبى التفسير الصحيح.

وقد أشاد محمد (صلى الله عليه وسلم) بعيسى وأمه عليهما السلام، فلابد أن يكون ورد ذكره فى موضع أو أكثر فى الكتاب المقدس فيما ورد على لسان المسيح عليه السلام.

فأجابتنى إجابة مَنْ يريد أن ينهى الحوار فى هذا الشأن. قائلة:

- إنه منذ ما يقارب نصف قرن وأنا أقرأ الكتاب المقدس ولم أجد شيئًا عن هذا الرجل.

ولو وُجد شىء يخصه أو يذكره لعرفته.

فقلت: إن المسلمين فى كل بقاع العالم يؤمنون بمجىء عيسى عليه السلام دون استشهاد من العهد القديم ونبوءاته.

وذلك بإقرار كل مسلمى العالم وبإقرار وشهادة محمد صلى الله عليه وسلم عن المسيح فى كتابنا «القرآن».

ثم سألتها سؤالاً مباغتاً..

- أريد أن تذكرى لى نبوءة واحدة ذكرت اسم عيسى أو أنه سيكون بن مريم

أو أن أباه سيكون يوسف النجار. أو أنه سيولد فى عهد هيرود الملك؟ فهل تجدين ذلك بين نبوءات العهد القديم؟

ثم طلبت منها أن تفتح الكتاب المقدس عند سفر التثنية ١٨ : ١٨.

(أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك. وأجعل كلامى فى فمه. فيكلمهم بكل ما أوصيه به)

فتلوتها عليها ثم سألتها:

- مَنْ المقصود بهذه النبوءة؟

فأجابتنى: (المقصود هو عيسى عليه السلام)

سألتها:

- لِمَ تشير الآية إلى عيسى مع أنه لم يذكر اسمه فى النص؟

فأجابت:

- إن النبوءة عما سيكون مستقبلاً، فقد وجدنا أن هذه الفقرة تتناسب مع صفة المسيح.

قلت:

إن النص يشير إلى أن المقصود فى كلمة مثلك أى مثل موسى لأن الخطاب إلى موسى عليه السلام إذاً فما أوجه الشبه بين عيسى وموسى عليهما السلام فأجابت:

إن كليهما كان يهودياً وكليهما كان نبياً.

إذاً فعيسى مثل موسى.

فسألتها:

- إذا كان هذان الوصفان هما كل ما بينهما من صفات مشتركة، إذاً فذلك يتناسب أيضاً مع حزقيال ودانيال وهوشع وسليمان وأيوب ويوحنا فكلهم أنبياء يهود.

- فلما ينطبق هذا النص على عيسى فقط؟

واسترسلت فى الحوار إن استنتاجاتى المنطقية تؤكد أن عيسى عليه السلام ليس مثل موسى عليه السلام لأن بينهما ثلاثة فوارق:

١- إن عيسى ليس كموسى لأن عيسى إله!، وموسى رسول نبى.

فأجابتنى: (نعم).

٢- إن عيسى عليه السلام مات ليخلص العالم من الآثام ولكن موسى عليه السلام لم يمت هكذا.

فأجابتنى: (نعم)

٣- إن عيسى عليه السلام ذهب إلى الجحيم ثلاثة أيام بينما لم يذهب موسى عليه السلام إلى هناك.

فأجابتنى: (نعم)

قلت:

ـ إذاً فإن عيسى ليس كموسى عليهما السلام.

واسترسلت فى حديثى إليها منتقلاً بالحوار إلى مناقشة ما هو أكثر أهمية. فقلت لها:

١- إن موسى عليه السلام كان له أب وأم وعيسى لم يكن كذلك.

بينما محمد صلى الله عليه وسلم من أبٍ وأم.

أصحيح ما أقول؟. فأجابتنى بنعم

٢- إن موسى ومحمد عليهما السلام ولدا عن طريق اتصال جنسى بين رجل وامرأة.

ولكن عيسى عليه السلام خُلق بمعجزة.

فقد ذكر فى ١٨/١ من إنجيل متى..

«أما ولادة يسوع فكانت هكذا. لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجُدت حبلى من الروح القدس».

كما يخبرنا لوقا فى إنجيله أن مريم عندما علمت بميلاد طفل مقدس سألت الملاك.

«كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟»

فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لوقا ١ : ٣٥)

وقد ورد مضمون الفقرة السابقة فى القرآن الكريم بأسلوب اسمى يحمل المعنى السابق نفسه:

فى قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران/ ٤٧)

واسترسلت معها قائلاً:

إذاً فإن عيسى ليس هو المقصود بآية التثنية ١٨: ١٨ فهو ليس مثل موسى كما ثبت بالمنطق ويقابل ذلك اتفاق موسى ومحمد عليهما السلام فى أوجه كثيرة للشبه بينهما.

وحقيقة لا ينكرها أحد أن الآيات تشير منطقياً إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

٣- إن موسى ومحمد عليهما السلام تزوجا وأنجبا أطفالاً، ولكن عيسى بقى أعزب. فأجابتنى: (نعم).

فقلت: إذاً فعيسى ليس كموسى ولكن محمد (صلى الله عليه وسلم) مثل موسى.

٤- إن موسى ومحمد عليهما السلام كليهما اتُبع من قومه فى حياته.

فأجابتنى بنعم

٥- إن موسى ومحمد عليهما السلام كليهما أتى بشرائع جديدة لقومهما.

فقد جاء موسى بشريعة كاملة إلى جانب الوصايا العشر وجاء محمد (صلى الله عليه وسلم) بشرائع جديدة ذات قيم لمجتمع عربى يسوده الجهل والتجاوزات.

(كوأد البنات وإدمان الخمر وعبادة الأوثان والزنى والقمار).

وقد قال فى ذلك توماس كارليل:

«قد رفعهم محمد صلى الله عليه وسلم من أدنى مراتب الهمجية إلى حملة مصابيح العلم والنور، فكان بالنسبة لأمة العرب ميلادًا من الظلام إلى النور وبرسالته عرف العرب الحياة لأول مرة».

أما عيسى عليه السلام فلم يأت بشريعة جديدة، وقد ورد ذلك على لسان يسوع نفسه فى إنجيل متى ١٧، ١٨:

«لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل».

فقد أتى عيسى لينفذ الشريعة السابقة، فحرص على وصايا موسى عليه السلام ووقَّر يوم السبت.

وبذلك فلم يدع المسيح إلى دين جديد ولم يأت بشريعة جديدة مثل موسى ومحمد عليهما السلام

أصحيح ما أقول؟

فأجابتنى: (نعم)

٦- إن كلاً من موسى ومحمد عليهما السلام مات موتة طبيعية بينما عيسى عليه السلام قُتل على الصليب كما زعم النصارى.

أصحيح ما أقول؟

فأجابتنى: (نعم)

قلت: إذاً عيسى ليس كموسى ولكن محمد (صلى الله عليه وسلم) مثل موسى.

٧- إن موسى ومحمداً عليهما السلام كليهما دُفن فى التراب ولكن عيسى عليه السلام يرقد فى السماء.

أصحيح ما أقول؟

فأجابتنى: (نعم)

ثم انتقلت بالحوار إلى لفظ آخر «من وسط إخوتهم» فإن إسماعيل وإسحاق ابنان لأب واحد هو إبراهيم الخليل فهما أخوان وكذلك أبناؤهما إخوة.

وأبناء إسحاق هم اليهود وأبناء إسماعيل هم العرب فهم إخوة. ولذا يكون أبناء إسحاق هم إخوة لأبناء إسماعيل. وبهذا يكون النبى محمد صلى الله عليه وسلم من بين إخوة اليهود وهذا ما يوافق النبوءة.

«من وسط إخوتهم»

وهكذا مضت النبوءة لتقرر وأجعل كلامى فى فمه. وعلى هذا النحو كان نزول القرآن من الله تعالى وحيًا على النبى محمد صلى الله عليه وسلم.

فقد أخبرتنا سيرته أنه لما بلغ الأربعين جاءه الملك جبريل عليه السلام.

وقال له «إقرأ». قال: ما أنا بقارىء.

إذاً «واجعل كلامى فى فمه» تنطبق على محمد (صلى الله عليه وسلم) وخلال ثلاث وعشرين سنة تلت حادثة الوحى كانت الكلمات تجعل فى فم محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقرؤها عليهم.

وقد ورد فى سفر أشعياء ٢٩ : ١٢

(أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له (اقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة) أى أنه «النبى الأمى» صلى الله عليه وسلم.

ويوافق ذلك ما ورد فى القرآن الكريم فى الآية ١٥٨ من سورة الأعراف.

(فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى)؟

وأجابتنى نفسى بأن كل ما ذكرته صحيح ولكن ماذا يفيد ذلك وقد اعتقد المسيحيون أن عيسى «الإله المتجسد» ثم تمضى النبوءة فى سفر التثنية ١٨ : ١٩

(... الذى يتكلم باسمى) فبأى اسم يتكلم النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) فقلت لنفسى.

إن كل سورة من سور القرآن الكريم تبدأ بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»

وهذا ما أخبرت به النبوءة «الذى يتكلم به باسمى»

وفى العهد الجديد:

«نجد أن اليهود مازالوا يترقبون تحقيق النبوءة مثلك»

فقد ورد فى إنجيل يوحنا ١٩ - ٢٥

وهذه شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: من أنت؟

فاعترف ولم ينكر وأقر أنى لست المسيح.

سألوه: «إذاً ماذا. إيليا أنت؟»

فقال: لست أنا.

أأنت النبى ؟

فأجاب: لا.

فقالوا له من أنت لنعطى جواباً لمن أرسلونا. ماذا تقول عن نفسك؟

قال: أنا صوت صارخ فى البرية، قوِّموا طريق الرب كما قال أشعياء النبى.

وكان المرسلون من الفريسيين فسألوه:

فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبى.

ثم أنهيت حوارى مع نفسى.

وهكذا كان حوارى مع نفسى حول آية التثنية وقد وفقنى الله فى إقناعها وإقرارها بما ذكرته عن النبوءة الواردة فى سفر التثنية بأنها تشير إلى محمد.

وإن من يدرس الكتاب المقدس بدقة وإمعان يجد كثيراً من البشارات التى تخص محمداً صلى الله عليه وسلم وقد علم ذلك الكثير منهم، ولكن كرهوا أن يكون النبى محمد صلى الله عليه وسلم هو المقصود بتلك البشارات..

وعلى سبيل المثال لا الحصر..

ما ورد فى سفر التكوين ٢١: ١٣: ١٨

«وسأقيم من ابن الجارية (هاجر) أمة أيضاً لأنه من ذريتك»

«قومى واحملى الصبى وتشبثى به لأننى سأجعله أمة عظيمة»

ألا تعد هذه الآية بشارة صريحة.

إن الله سيجعل من نسل إسماعيل أمة عظيمة فمن تكون إذاً الأمة العظيمة المقصودة سوى أمة الإسلام. وقد ورد ما يؤكد أن الله سيجعل إسماعيل أمة كبيرة (ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً)

«واثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة»

و«وسأجعله أمة لأنه نسلك»

«وسأجعله أمة عظيمة»

فكل هذه الأقوال لا تشير إلا إلى أمة الإسلام الكثيرة العدد وعظيمة القدر.

وقد ورد فى القرآن الكريم ما يؤكد أن هذه البشارات قد وردت حقاً وقد استطاع البغاة تحريفها فى الكتاب المقدس وقاموا بحذف البعض منها وهو ما يتعارض مع أهوائهم.

فقد ورد فى الآية ٦ من سورة الصف قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

ويؤكد القرآن الكريم ذلك فى الآية ١٥٧ من سورة الأعراف

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

وقال تعالى مبيناً جحودهم فى الآية ٨٩/البقرة: **﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾**

والآيات والبشارات فى ذلك كثيرة وواضحة ولكن عميت عنها القلوب الغلف وصمت عنها آذانهم وغشيت أبصارهم.

ولكن ظلام الباطل دائماً يبدده نور الحق.

والحمد لله على ذلك.

خـــاتمة

إن من يرغب عن هذا الدين الحق «الإسـلام» فـقـد ضل عن فطرته التى فطره الله عليها..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«ما من أحد يُولد إلا ويُولد على فطرة الإسـلام، والنصـارى ينصـرانه، واليهود يهودانه، والمجوس يمجسانه».

فلنقرأ الكتاب المقدس ونعيد النظر فى فهم عباراته ومعانيه.. واقرأوا القرآن وادرسوه فلن تجدوا بديلاً عن الإسلام.

والحمدلله على نعمة الإسلام.

بعض نبوءات

رسول الله محمد ﷺ

من علامات النبوة التى اختص الله ـ سبحانه وتعالى ـ بها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ـ كما اختص غيره من الأنبياء ـ النبوءات[1].

والنبوءة هى إخبار بأمور غيبية لم تقع، أو وقعت ولم يشاهدها النبى، ولكن الله أوحي إليه بها. وسوف نعرض فيما يلى لبعض النبوءات التى اختص الله ـ تبارك وتعالى ـ بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١ ـ لما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يدعو الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد، وترك عبادة الأصنام قابل (عداس) الذى كان يعمل فى بستان يملكه عتبة بن ربيعة وأخيه شيبة [2].

سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم (عداس) قائلاً له: من أى البلاد أنت؟.

أجاب الغلام (عداس): أنا نصرانى، وأنا رجل من أهل نينوى ـ قرية بالقرب من الموصل على نهر دجلة بالعراق ـ

قال له صلى الله عليه وسلم: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟».

فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟

فقال صلى الله عليه وسلم: «ذاك أخى، كان نبياً، وأنا نبى».

٢ ـ إخبار السائل بما أراد أن يسأل عنه قبل سؤاله[3] .

يقول عبدالله بن عمر رضى الله عنهما: كنت جالساً عند النبى صلى الله عليه وسلم فجاءه رجلان أحدهما أنصارى والآخر ثقفى (أى من ثقيف) فابتدر المسألة للأنصارى.

---

(١) من كتاب ابن لقمان «نبوءات الرسول صلى الله عليه وسلم ومستقبل الأمة» تأليف : عبد العزيز الشافعى ونبيل خالد ، تحقيق الشيخ/كامل عويضة ، الناشر : دار ابن لقمان للنشر والتوزيع - المنصورة عام ٢٠٠٢م ص٣٦ وما بعدها بتصرف .

(٢) من كتاب (نبوءات الرسول صلى الله عليه وسلم ومستقبل الأمة) تأليف عبدالعزيز الشناوى ونبيل خالد. الناشر: بار ابن لقمان. المنصورة/ ٢٠٠٢ ص ٢٧ وما بعدها بتصرف.

(٣) المرجع السابق ص ٣٦، ٣٧.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ـ «يا أخا ثقيف، إن الأنصارى قد سبقك بالمسألة»

فقال الأنصارى:

ـ يا رسول الله: فإنى أبدأ به.

فقال عليه الصلاة والسلام:

ـ «سل عن حاجتك، وإن شئت أنبأتك بالذى جئت تسأل عنه».

فقال الثقفى:

ـ فذاك أعجب إلىَّ يا رسول الله.

قال صلى الله عليه وسلم:

ـ «فإنك جئت تسأل عن صلاتك بالليل، وعن ركوعك وعن سجودك، وعن صيامك، وعن غسلك من الجنابة».

فقال الثقفى:

ـ والذى بعثك بالحق إن ذلك الذى جئت أسألك عنه.

فأجابه صلى الله عليه وسلم.

ثم أقبل صلي الله عليه وسلم إلى الأنصارى فقال:

ـ «يا أخا الأنصار، سل عن حاجتك، وإن شئت أنبأتك بالذى جئت تسأل عنه».

قال الأنصارى:

ـ فذاك أعجب إلىَّ يا رسول الله.

قال الذى لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم:

«فإنك جئت تسأل عن خروجك من بيتك تؤم (تقصد) البيت العتيق (الكعبة) وتقول:

ـ ماذا لى فيه؟ وعن وقوفك بعرفات وتقول: ماذا لى فيه؟ وعن رميك الجمار وتقول: ما لى فيه؟ وعن طوافك بالبيت وتقول: مالى فيه؟

فهتف الأنصارى:

- إى والذى بعثك بالحق إن هذا الذى جئت أسأل عنه.

ثم أجابه صلى الله عليه وسلم.

٣ - إخبار أهل الكتاب عن ذى القرنين عندما سألوه عنه.

٤ - إخبار عمه أبو طالب بأن «الأرضة» أكلت الصحيفة (الظالمة التى علقها مشركوا مكة فى الكعبة والخاصة بمقاطعة بنى هاشم فى شعب أبى طالب) ماعدا اسم الله تعالى.

٥ - إخباره صلى الله عليه وسلم بالكتاب الذى أرسله حاطب بن أبى بلتعة - مع امرأة وضعته فى شعرها - إلى زعماء قريش يخبرهم فيه أن محمداً قادم لفتح مكة.

٦ - إخباره صلى الله عليه وسلم للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أن سبطه الحسين بن على رضى الله عنه سوف يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

٧ - إخباره صلى الله عليه وسلم ان أبا ذر الغفارى رضى الله عنه يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده.

٨ - إخباره صلى الله عليه وسلم باستشهاد «الحسين» بأرض كربلاء بالعراق.

٩ - إخباره صلى الله عليه وسلم باستشهاد عثمان بن عفان رضى الله عنه.

١٠ - إخباره صلى الله عليه وسلم عن انتصار الروم على الفرس فى بضع سنين بعد هزيمتهم أمام الفرس. وهذا بناء على قول الله تبارك وتعالى فى أول سورة الروم ﴿**الٓمٓ (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ (الآيات من ١ - ٥).

١١ - إخباره صلى الله عليه وسلم لسراقة بن مالك بأن الإسلام سينتشر ويدخل المسلمون بلاد فارس ويعطيه خليفة المسلمين سوار كسرى. وهذا ما حدث فى عهد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

١٢ - إخبـاره صلي الله عليـه وسلم لابنتـه السيـدة فـاطمـة الزهـراء وهو يحتضـر انها أول أهل بيتـه لحوقاً به، وقد كـان حيث كانت أول من مـات من أهل بيته بعده صلى الله عليه وسلم.

١٣ - إخباره صلى الله عليه وسلم بأماكن مصارع صناديد قريش وفرسانهم فى غزوة بدر وقبل بدئها.

١٤ - إخباره صلى الله عليه وسلم باتحاد الأمم وتجمعها ضد المسلمين رغم كثـرة عددهم (المسلمين)، وهو مـا حـدث فى الماضى أيام الحـروب الصليبـيـة ويحدث الآن.

وفى النهـاية لا ننسى قـول الحق تبـارك وتعـالى عنه صلى الله عليـه وسلم بأنه (لا ينطق عن الهوى) صلى الله عليه وسلم.

منح ربانية لنبي الرحمة ﷺ وأمته

الهدية الأولى وتشمل:

«أ» ما أكرمه الله تعالى به فى الدنيا (١)

١ - أخذ الله له العهد على جميع الأنبياء.
٢ - كان عند أهل الكتاب علم تام به.
٣ - كان نبياً وآدم مجندل فى طينته.
٤ - هو أول المسلمين.
٥ - هو خاتم النبيين.
٦ - هو نبى الإسلام.
٧ - هو أولى بالأنبياء من أممهم.
٨ - هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم، وتحريم نكاحهن من بعده.
٩ - كونه مِنَّة يمتن الله بها على عباده.
١٠ - كونه خير الخلق، وسيد ولد آدم.
١١ - طاعته ومبايعته هى عين طاعة الله ومبايعته.
١٢ - الإيمان به مقرون بالإيمان بالله تعالى.
١٣ - هو رحمة للعالمين.
١٤ - هو أمنة لأمته.

(١) من كتلب : أحباب النبى .. أحباب الله ، تاليف الشيخ عاشور عليش ، توزيع الجمهورية عام ٢٠٠٨م .

١٥ - عموم رسالته.
١٦ - تكفل المولى بحفظه وعصمته.
١٧ - التكفل بحفظ دينه.
١٨ - القسم بحياته.
١٩ - القسم ببلده.
٢٠ - القسم له.
٢١ - لم يناده باسمه.
٢٢ - ذكره فى أول من ذكر من الأنبياء.
٢٣ - النهى عن مناداته باسمه.
٢٤ - لا يُرفع صوت فوق صوته.
٢٥ - تقديم الصدقة بين يدى مناجاتهم له.
٢٦ - جعله الله نوراً.
٢٧ - فرض بعض شرعه فى السماء.
٢٨ - تولى الإجابة عنه.
٢٩ - استمرار الصلاة عليه.
٣٠ - الإسراء والمعراج.
٣١ - معجزاته.
٣٢ - غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.
٣٣ - تأخير دعوته المستجابة ليوم القيامة.
٣٤ - أعطى جوامع الكلم.
٣٥ - أعطى مفاتيح خزائن الأرض.
٣٦ - إسلام قرينه من الجن.
٣٧ - نصره بالرعب مسيرة شهر.
٣٨ - شهادة الله وملائكته له.
٣٩ - إمامته بالأنبياء فى بيت المقدس.

٤٠ - قرنه خير قرون بنى آدم.
٤١ - ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة.
٤٢ - أُعطى انشقاق القمر.
٤٣ - يَرَىَ من وراء ظهره.
٤٤ - رؤيته فى المنام حق.
٤٥ - عَرْضُ الأنبياء مع أممهم صلى الله عليه وسلم.
٤٦ - جعل خاتم النبوة بين كتفيه.
٤٧ - إطلاعه على المغيبات.

«ب» ما أكرمه الله تعالى به فى الآخرة

٤٨ - وصفه بالشهادة.
٤٩ - ما أعطى من الشفاعات.
٥٠ - هو أول من يبعث.
٥١ - هو إمام الأنبياء وخطيبهم.
٥٢ - كل الأنبياء تحت لوائه.
٥٣ - هو أول من يجيز على الصراط.
٥٤ - هو أول من يقرع باب الجنة.
٥٥ - هو أول من يدخل الجنة.
٥٦ - إعطاؤه الوسيلة والفضيلة.
٥٧ - إعطاؤه المقام المحمود.
٥٨ - إعطاؤه الكوثر.
٥٩ - إعطاؤه لواء الحمد.
٦٠ - يكون له كرسى على يمين العرش.
٦١ - هو أكثر الأنبياء تبعاً.

٦٢ - هو سيد الأولين والآخرين يوم القيامة.

٦٣ - هو أول شافع ومشفع.

٦٤ - هو مُبشر الناس يوم يفزع إليه الأنبياء.

٦٥ - ما يُوحى إليه فى سجوده تحت العرش مما لم يُفتح على غيره من قبل ومن بعد.

٦٦ - منبره على حوضه.

((ج)) ما أكرمه الله به تعالى فى أمته فى الدنيا

٦٧ - جعلت خير الأمم.

٦٨ - سمّاهم الله تعالى المسلمين، وخصهُّم بالإسلام.

٦٩ - أكمل الله لها الدين، وأتم عليها النعمة.

٧٠ - ما حطه الله عنها من الإصر والإغلال.

٧١ - صلاة المسيح خلف إمام المسلمين.

٧٢ - أحلت لهم الغنائم.

٧٣ - جعلت صفوفها كصفوف الملائكة.

٧٤ - التيمم والصلاة على الأرض.

٧٥ - خصهم بيوم الجمعة.

٧٦ - خصهم بساعة الإجابة يوم الجمعة.

٧٧ - خصهم بليلة القدر.

٧٨ - هذه الأمة هى شهداء الله فى الأرض.

٧٩ - مَثّلُها فى الكتب السابقة، وجعل عند أهل الكتاب علماً كاملاً بها، حتى إذا رأوها عرفوها.

٨٠ - لن تهلك بجوع، ولا يسلط عليها عدو من غيرها.

٨١ - خصَّت بصلاة العشاء.

٨٢ - تؤمن بجميع الأنبياء.

٨٣ - حفظها من التنقيص فى حق ربها عز وجل.

٨٤ - لاتزال طائفة منها على الحق.

((د)) ما أكرمه الله تعالى به في أمته في الآخرة

٨٥ - هى شاهدة للأنبياء على أممهم.
٨٦ - هى أول من يجتاز الصراط.
٨٧ - هى أول من يدخل الجنة، وهى مُحَرَّمَة على الناس حتى تدخلها.
٨٨ - انفرادها بدخول الباب الأيمن من الجنة.
٨٩ - سَيَفْدِيها بغيرها من الأمم.
٩٠ - تأتى غُراً محجلين.
٩١ - هى أكثر أهل الجنة.
٩٢ - سيُرْضى الله نبيه صلى الله عليه وسلم فيها.
٩٣ - زيادة الثواب مع قلة العمل.
٩٤ - كلها تدخل الجنة إن شاء الله.
٩٥ - كثرة الشفاعات فى أمته.
٩٦ - تمنى الكفار لو كانوا مسلمين.
٩٧ - هم الآخرون السابقون.
٩٨ - دخول العدد الكثير منها الجنة بغير حساب.
٩٩ - لها علامة تُعْرَفُ بها ربها عز وجل.
١٠٠ - فيها سادات أهل الجنة.

وبعد...

فهذه هدية مباركة، لو استوعبناها، لسجدنا لله شاكرين، على ما أولى نبينا من نعم، وما خصه وخص أمته من فضل وتكريم..

فالحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أول المسلمين وخاتم النبيين: محمد رسول الله، ومن اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين.

الهدية الثانية (طوبى للغرباء)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء.

وفى رواية أخرى تتمة هذا الحديث:

- قيل: يا رسول الله.. ومن هم؟

قال: الذين يُصْلِحُون إذا فسد الناس.

وفى رواية ثالثة، قال:

- الذين يفرون بدينهم من الفتن!

وفى رواية رابعة، قال:

- قوم قليل فى ناس سوُء كثير، منْ يَعْصيهم أكثر ممن يطيعهم!

●●●

ويقول فضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون الباحث والإسلامى الكبير فى معنى هذا الحديث فى كتابه القيم (طوبى للغرباء).

مما يُحث رسول الله صلى الله عليه وسلم. ودعا إلى الإسلام لم يستجب له فى أول الأمر إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة، وكان المستجيب له يشعر بين أهله بحال غريبة، فهو خائف منهم، ويؤذى غاية الإيذاء، وينال منه وهو صائر إلى ابتغاء وجه الله.

لقد كان الداخلون فى الإسلام حينئذٍ ـ وهم أهل الحق ـ غرباء بين الناس!

ثم ظهر الإسلام بعد الهجرة، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً، وظل أهل الإسلام على غاية من الاستقامة فى دينهم، وهم متعاونون، متناصرون طوال فترة صدر الإسلام. فلما اتسعت رقعة البلاد الإسلامية، تعرض الإسلام للفتن.. فتنة الشبهات والشهوات ومكائد الشيطان.

ويمضى فضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون يقول:

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يخاف على أمته من فتنة الدنيا، وحُب الشهوات، والتقاتل على الحُطام الفانى، وأن يتحاسد المسلمون، ويتباغضوا بسبب تنافسهم على دنيا زائلة، ففى صحيح البخارى عن عمرو بن عوف المزنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا، كما بُسطت على منْ كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم.

ومن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا المجال:

لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتي يأتى الله وهم على ذلك.

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغرباء، فقال: ـ الذين يحيون ما أمات الناس من سنتى.

يأتى على الناس زمان. الصابر فيه على دينه.. كالقابض على الجمر.

المتمسك بسنتى عند فساد أمتى له أجر مائة شهيد.

وعن أبى داود والترمذى بسند حسن، قال أبو أمية الشعبانى، سألت أبا ثعلبة عن قوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾.

فقال:

ـ أما والله، لقد سألت عنها خبيراً، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شُحاً مُطاعاً، وهوى

مُتبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن. مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم. قيل: يا رسول الله، أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم».

ويختتم الباحث الكبير رسالته القيمة التي طبعت ونشرت فى السعودية بقوله:

فطوبى للمتمسكين بسنة نبيهم، المقتدين به، الذين رضوا بالله رباً - وبالإسلام ديناً - وبمحمد نبياً ورسولاً - والقرآن إماماً - وعضّوا على سنة نبيهم بالنواجذ ولو عاشوا غرباء - فحسبهم أنهم شرفاء، وأنهم أولياء الله، وأحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد...

فلنتأمل هذا الحديث عن الغربة والغرباء ونحن منهم، ولنعمل على أن نكون من أهل الحب والقرب، لتعلو كلمة الله، وننتصر لدين الله، ونصبح بحق، وبصدق، خير أمة أخرجت للناس، وصدق الله عز وجل حيث يقول:

(والله يدعو إلى دار السلام، ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، للذين أحسنوا، الحسنى وزيادة).

صدق الله العظيم والحمد لله رب العالمين.

دعاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد كان دعاء أخى يونس .. أوله تهليل وأوسطه تسبيح - وآخره إقرار بالذنب (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) ما دعا بها مهموم ولا مغموم ولا مكروب ولا مديون فى اليوم ثلاث مرات إلا استجيب له .

حاجة العالم المعاصر إلى الإسلام

إن العالم المعاصر فى حاجة ماسة إلى الإسلام- كما يقول الكاتب الفرنسى إيتيين دينيه مؤلف كتاب «محمد رسول الله» - صلى الله عليه وسلم، (بالاشتراك مع الكاتب الجزائرى سليمان بن إبراهيم) فى عام ١٩١٦م- (ص٣٦٢ وما بعدها من الترجمة العربية له بمعرفة د.عبدالحليم محمود ونجله د.محمد عام ١٩٦٥م- الطبعة الثالثة الصادرة عن دار المعارف- بمصر عام ١٩٨٦).

وذلك للأسباب الآتية:

١- الإسلام: عقيدة دينية صحيحة، يقف المخلوق بها أمام الخالق بدون أن يكون بينهما وسيط، أى انتفاء الواسطة بين العبد وربه.

وهذا هو الذى وجدته العقول العملية فى الإسلام، لخلوه من الأسرار وعبادة القديسين، ولا حاجة به إلى الهياكل والمعابد، لأن الأرض كلها- فى نظر الإسلام- مسجد لله تعالى.

٢- لأن الإسلام يحقق أبلغ معنى لفضيلة الإيثار على النفس بأقل بحث فيها من الوجهة النظرية.

وقد حدث فى: فرنسا وفى بلاد أخرى فى أوروبا وأفريقيا وآسيا، دخول كثير من الأشخاص فى الإسلام فرادى. فى الماضى والحاضر. وروجيه جارودى المفكر الفرنسى المعروف الذى دخل فى الإسلام حديثًا لا يزال على قيد الحياة.

٣- من مميزات الإسلام الأصيلة ملاءمته لجميع الأجناس البشرية، فلم يكن العرب وحدهم هم الذين اتبعوا الإسلام، بل كان من ضمنهم من هو من بلاد فارس كسلمان الفارسى، وبعضهم كان من الرومان كصهيب الرومى، وبعضهم كان من الأحباش كبلال بن رباح الحبشى وغيرهم وجاء فى القرآن الكريم: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾. «سورة سبأ: آية ٢٨».

فدين محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قد أكد من الساعة الأولى لظهوره، وفى حياة النبى عليه السلام، أنه دين عام صالح لكل زمان ومكان.

٤- إذا كان الإسلام صالحًا بالضرورة لكل جنس، كان صالحًا بالضرورة لكل عقل، إذ هو دين الفطرة، والفطرة لا تختلف فى إنسان عن آخر، وهو لكل هذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة، وهو على ما فيه من تسامح وبساطة فإنه يؤدى للعالم هداية، وتوفيقًا..

سواء فى ذلك الأوروبى المتحضر أو الزنجى الأسود، من غير أن يعوق حرية الفكر عن أحدهما، ثم يزيد على ذلك- بالنسبة للزنجى- انتشاله من عبادة الأوثان.

٥- ثم هو دين لا يعوق الرجل العملى الذى يرى حياته فى العمل، ويعتبر الوقت من ذهب، كالرجل الإنجليزى، وكذلك لا يعوق الرجل الصوفى والشرقى المتأمل فى بدائع الصنع، ويأخذ بيد الغربى المأخوذ بسحر الفن والخيال.

٦- وليس هذا فحسب، بل هو يستولى على لب الطبيب العصرى أيضًا، بما فيه من الطهارة المتكررة فى اليوم والليلة، وتناسق حركات المصلى فى الركوع والسجود، وما فيها من نماء للجسم، وإفادة للصحة الجسمية والنفسية.

وبناء على ما سبق فليس من الجرأة إذا، «كما يقول إيتين دينيه»: أن نظن أنه إذا هدأت الزوابع المروعة القائمة- فى الماضى والحاضر- ضد الإسلام، أنه سيرى مستقبلاً حافلاً بأعظم الآمال وأعلاها شأنًا. خاصة وأنه دين يضمن الاحترام لكل الشعوب والديانات السماوية الأخرى كاليهودية والمسيحية.

لأنه إذا ما دخل فى الحضارة الأوروبية والأمريكية بفضل اشتراكه الكبير فى الحوادث فسيتضح سناه الحقيقى، وستعرف الأمم المختلفة حقيقته التى حجبت عنهم زمنًا طويلاً، وسيمد الكل يده لمحالفته، متنافسين فى ذلك، لأن قيمته قد خبروها، وعرفوا ما يستكن فيه من وسائل القوة التى لا حد لها ولا نفاد.

ولو نهض المسلمون، وأفاقوا من سباتهم العميق، وتوحدت كلمتهم، لرجع لهم عزهم السالف وتاريخهم المجيد، وتبوءوا مكانهم الذى يليق بمجدهم ودينهم إن شاء الله.

خاتمة

بعد عرض هذا البحث المتواضع فى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم يمكن أن نوجز النتائج التى تحققت للعرب، وللبشرية جميعًا بظهور الإسلام وذلك على النحو التالى:

١- كان العرب قبل ظهور الإسلام قبائل متفرقة متشاحنة، تقوم بينهم الحروب لأوهى الأسباب، وليس لهم دور يذكر فى تاريخ البشرية.

٢- بعد ظهور الإسلام. دعا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- الناس إلى ترك عبادة الأصنام والأوثان، وإخلاص العبودية لله تبارك وتعالى، وذلك تحت شعار- الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة- ولمدة ثلاثة وعشرين عامًا. قضى منها ثلاثة عشر عاما بمكة المكرمة فى بداية الدعوة، وعشرة أعوام فى يثرب «المدينة المنورة» حتى نصر الله دينه، وارتفعت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله فى ربوع الجزيرة العربية كلها، ومنها انطلق المسلمون الأوائل إلى ربوع الدنيا، شرقها وغربها، شمالها وجنوبها حتى وصلوا بها إلى أواسط قارة آسيا شرقًا، وجنوب أوروبا غربًا حيث الأندلس.

٣- هذا وقد اتضح فى هذا البحث الجوانب الطيبة فى شخصية المصطفى- صلى الله عليه وسلم- منها:

أ- الرحمة للجميع:

فقد كان- صلى الله عليه وسلم- رحيمًا بكل البشر، سواء من آمن به وصدق دعوته واعتنق الإسلام، أو من لم يؤمن به ولا بدعوته، والحقيقة أن رحمته - صلى الله عليه وسلم- شملت الكبير والصغير، والرجل والمرأة والطفل، والرقيق والسادة. وحتى الأعداء. وكذلك الحيوان الأعجم.

ب- العدل والمساواة بين الجميع:

لقد نشر العدل والمساواة بين الجميع، امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى له- صلى الله عليه وسلم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾. «سورة النساء: ٥٨». وذلك لأهمية العدل والمساواة فى إصلاح حال الفرد والمجتمع.

٤- تبين الدور المهم الذى قام به رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فى نشر دعوة الإسلام التى نقلت العرب نقلة هائلة إلى الأمام، وجعلتهم قادة الدنيا، بعد أن كانوا يعيشون على هامش التاريخ.

٥- عرضت آراء بعض المنصفين من المستشرقين الذين درسوا الدين الإسلامى، والقرآن الكريم، وسنة النبى- صلى الله عليه وسلم، فاقتنعوا أن الدين الإسلامى هو الدين الحق، وأن محمدًا هو عبد الله ورسوله المؤيد بالوحى، وسجلوا آراءهم فى كتب نشروها بلغات بلادهم حتى يقرأها مواطنوهم.

وأخيرًا..

لقد حاولت جهدى حتى يكون هذا البحث فى المستوى اللائق بالحبيب محمد- صلى الله عليه وسلم.

فإن كنت قد أصبت فلله الحمد والمنة، وإن كانت الأخرى فأرجو من الله العفو والتجاوز، إنه نعم المولى ونعم النصير. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

المصادر والمراجع

فيما يلى المصادر والمراجع التى اطلعت عليها، مرتبة ترتيبًا أبجديًا على عناوينها بعد استبعاد (ال، ابن) عند الترتيب:

١- البداية والنهاية: للحافظ بن كثير، أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى (ت: ٧٧٤هـ)، مكتبه المعارف، بيروت.

٢- التاريخ الصغير: للإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى (١٩٤-٢٥٦هـ)، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ، دار التراث، القاهرة.

٣- تاريخ الإسلام فى عصر النبوة: د.عبدالشافى محمد عبداللطيف، ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤)، القاهرة.

٤- تفسير ابن كثير: لأبى الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى، (ت: ٧٧٤هـ)، مكتبة دار السلام، الرياض.

٥- تفسير الطبرى (جامع البيان): لأبى جعفر، محمد بن جرير الطبرى، (٢٢٤- ٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت.

٦- تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن): لأبى عبدالله، محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (ت: ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية.

٧- تهذيب سيرة ابن هشام: لـ عبدالسلام هارون، الطبعة الرابعة والعشرون ١٤١٧هـ (١٩٩٦م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٨- جامع الترمذى: لأبى عيسى، محمد بن عيسى الترمذى، (٢٠٩- ٢٧٩هـ)،

المكتبة الرشيدية، دهلى، الهند، وبتحقيق أحمد محمد شاكر وغيره.
٩- خاتم النبيين: للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربى، ١٩٩٣م، القاهرة.
١٠- دراسات فى تاريخ العرب: د.السيد عبدالعزيز سالم، الجزء الأول: تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
١١- دلائل النبوة: لأبى بكر أحمد بن حسين البيهقى. (٣٨٤- ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت.
١٢- الدين والدولة، من توجيهات القرآن الكريم: د.محمد البهى، دار الفكر العربى، بيروت، ١٩٧١م.
١٣- رحمة الله للعالمين: للقاضى محمد سليمان سلمان المنصور فورى (ت: ١٩٣٠م)، الطبعة العربية، الدار السلفية، بومباى، الهند.
١٤- الرحيق المختوم: لصفى الرحمن المبارك فورى، دار الوفاء، ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م)، المنصورة.
١٥- زاد المعاد: لابن القيم، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن بكر بن أيوب (٦٩١- ٧٥١هـ)، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ، المطبعة المصرية.
١٦- السيرة النبوية: لأبى محمد، عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميرى (المتوفى: ٢١٣أ، ٢١٨هـ)، مصطفى البابى الحلبى، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ.
١٧- السيرة النبوية من الطبقات الكبرى: لـ محمد بن سعد (١٦٨- ٢٣٠هـ)، الزهراء للإعلام العربى، طبعة أولى ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م).
١٨- السيرة الحلبية: لعلى بن برهان الدين الحلبى الشافعى، (٩٧٥- ١٠٤٤هـ)، طبعة بيروت.
١٩- شرح صحيح مسلم: لأبى زكريا، محيى الدين يحيى بن شرف النووى (ت: ٦٧٦هـ)، ١٣٧٦هـ.
٢٠- الشفا: للقاضى أبى الفضل، عياض بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى (٤٤٦- ٥٤٤هـ)، المطبعة العثمانية، استامبول ١٣١٢هـ.
٢١- صحيح البخارى: للإمام أبى عبدالله، محمد بن إسماعيل البخارى، (ت: ٢٥٦هـ)، المكتبة الرحيمية، ديوبند، الهند، وبترقيم محمد فؤاد عبدالباقى ضمن فتح البارى.

٢٢- صحيح مسلم: للإمام بن الحجاج القشيرى (٢٠٦- ٢٦١هـ)، المكتبة الرشيدية، دهلى، الهند، وبترقيم محمد فؤاد عبدالباقى.

٢٣- صفوة السيرة النبوية لابن كثير: إعداد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م)، أربعة أجزاء، القاهرة.

٢٤- العظماء مائة أعظمهم محمد (صلى الله عليه وسلم): ولمايكل هارت- ترجمة أنيس منصور ونشر تحت عنوان «محمد- صلى الله عليه وسلم» أعظم الخالدين، الطبعة الخامسة ٢٠٠٥، نهضة مصر، القاهرة.

٢٥- قطوف من الشمائل المحمدية والأخلاق النبوية: إعداد محمد بن جميل زينو- مكة المكرمة، بدون ذكر أى تواريخ أو بيانات أخرى.

٢٦- كنز العمال: لعلاء الدين، على المتقى بن حسام الدين البرهان فورى، الهند، (ت: ٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، بيروت.

٢٧- مجمع الزوائد: لحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى (ت ٨٠٧هـ) مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٢٨- محمد رسول الله: لـ إيتين دينيه، مستشرق فرنسى (أسلم وتسمى باسم ناصر الدين)، وسليمان بن إبراهيم (جزائرى)، ١٩١٦م، ترجمه إلى اللغة العربية الشيخ عبدالحليم محمود، ومحمد عبدالحليم، الطبعة الثالثة من النسخة العربية ١٩٨٦، دار المعارف، القاهرة.

٢٩- محمد- صلى الله عليه وسلم- فى المدينة: د.أحمد شلبى، ١٤١٥ (١٩٩٥م)، القاهرة.

٣٠- مختصر سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم): لـ عبدالوهاب محمد بن عبدالوهاب النجدى، (ت: ١٢٤٢هـ)، المكتبة السلفية، الروضة، مصر، ١٣٧٩هـ.

٣١- مسند أحمد: للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى (١٦٤- ٢٤١هـ). دار الفكر العربى، وبتحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف- مصر- الطبعة الثالثة.

٣٢- مغازى الواقدى: لمحمد بن عمر بن واقد (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت.

٣٣- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: د.جواد على، الطبعة الثانية، بغداد ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٣٤- من أخلاق النبى- صلى الله عليه وسلم: د.أحمد محمد الحوفى، نهضة مصر، ١٩٩٢، القاهرة.

٣٥- نور اليقين: للشيخ محمد الخضرى:

أ- الطبعة الأولى، بإيران ١٤١٩هـ، دار إحسان، طهران، مطبعة: حيدرى.

ب- بعد تخريج الأحاديث بمعرفة أ.خالد بن محمد بن عثمان، مكتبة الصفا- الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ (٢٠٠٢م)، دار البيان الحديثة- القاهرة.

٣٦- أحباب النبى.. أحباب الله.. تأليف الشيخ عاشور عليش توزيع الجمهورية عام ١٩٩٨م.

٣٧- الشبكة ادولية للاتصالات (الإنترنت) مواقع متعددة التصدى للدفاع عن النبى صلى الله عليه وسلم بمناسبة إعادة نشر الصور المسيئة للنبى ببعض الصحف الدانماركية وغيرها. شهرى فبراير ومارس عام ٢٠٠٨م.

٣٨- نبوءات الرسول صلى الله عليه وسلم مستقبل الأمة. تأليف عبدالعزيز الشناوى ونبيل خالد، تحقيق الشيخ كامل عويضة. الناشر: دار ابن لقمان للنشر والتوزيع عام ٢٠٠٢م بالمنصورة.

شكر واجب

بسم الله الرحمن الرحيم

أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من:

١- الأستاذ الدكتور/عبدالله محمد جمال الدين، الأستاذ بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة على خدماته الجليلة التى قدمها لى ممثلة فى: توفير عدد كبير من المصادر والمراجع التى استعنت بها، بالإضافة إلى الإرشادات والتوجيهات التى ساعدتنى كثيرًا.

٢- الشيخ نصر الدين محمد متولى: إمام مسجد الهداية الذى أمدنى ببعض المراجع.

٣- زوجتى: التى شجعتنى كثيرًا، وهيأت لى الجو المناسب فى المنزل.

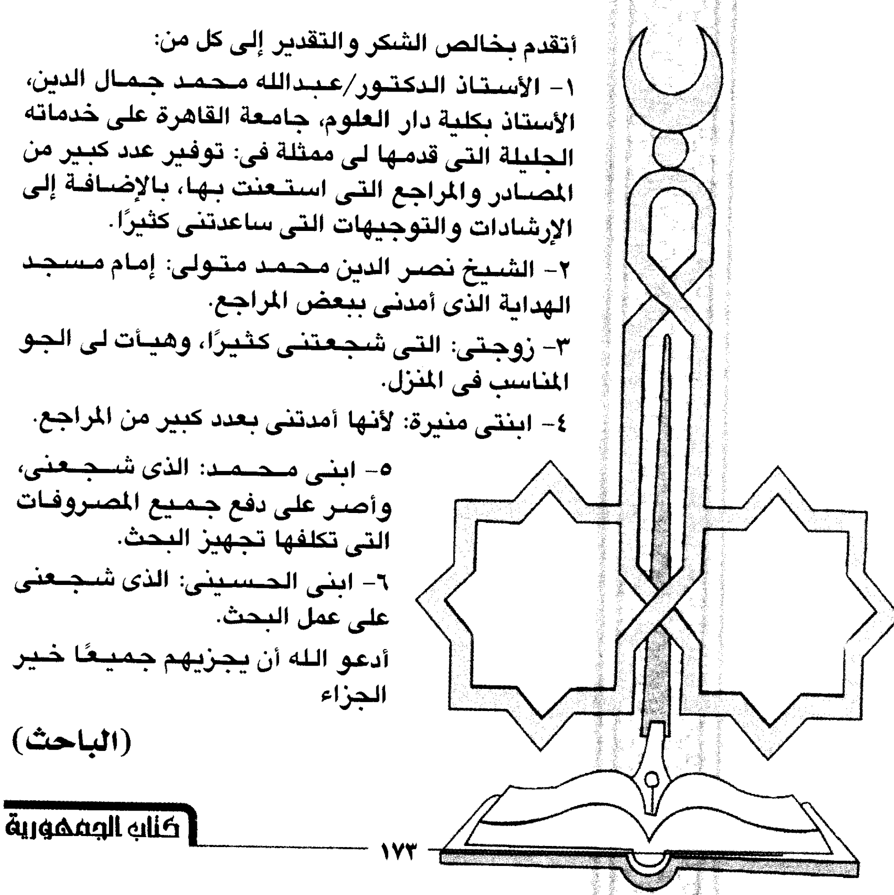
٤- ابنتى منيرة: لأنها أمدتنى بعدد كبير من المراجع.

٥- ابنى محمد: الذى شجعنى، وأصر على دفع جميع المصروفات التى تكلفها تجهيز البحث.

٦- ابنى الحسينى: الذى شجعنى على عمل البحث.

أدعو الله أن يجزيهم جميعًا خير الجزاء

(الباحث)



الفهرس

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/٧١٨٦
الترقيم الدولى : I.S.B.N 977 - 236 -616 - 9

طبع بمطابع دار الجمهورية للصحافة